الأنوار

مجلّة إسلامية، ثقافية، دعوية، علمية

تصدرها جامعة أنوار العلوم خيرآباد، تايباد، خراسان

الرقم ٣٠ شعبان المعظم ١٤٤٣

٣٠

دور الاجتهاد والتقليد في ضوء الشريعة

كيف نربح في رمضان ولا نخسر ؟

رحّب بشهر البر والإحسان

قلّما يجود الزمان بمثله

في إنتظار مثل تلك الهبّة الإنسانية

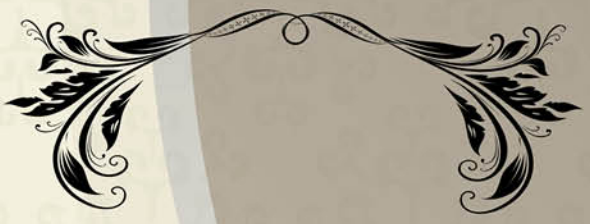

قال الإمام أبو حامد الغزالي :

اعلم أن الصوْمَ ثلاث درجات :
صوم العموم، وصوم الخصوص، وصوم خصوص الخصوص،
وأما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة
كما سبق تفصيله، وأما صوم الخصوص فهو كف السمع
والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام، وأما
صوم خصوص الخصوص فهو كف القلب عن الهمم الدنية
والأفكار الدنيوية، وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية،
ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله عز وجل
واليوم الآخر وبالفكر في الدنيا إلا دنيا تراد للدين ؛ فإن ذلك
من زاد الآخرة وليس من الدنيا ؛

محتويات العدد

الافتتاحية

دور الاجتهاد والتقليد في ضوء الشريعة /عبد الواحد علیيابي..... ٢

قصص من التاريخ

من يمد رجله لا يمد يده/علي الطنطاوي ٣

واحة رمضان

أسرار الصوم وشروطه الباطنة/الإمام الغزالي ٥

كيف نربح في رمضان ولا نخسر ؟/مجتبى أمتي ٨

متى تنتهى الشهوات ؟/ نعيم فاضلي..... ٩

رحّب بشهر البر والإحسان ١١

فوائد الصيام/ للطالب: دانيال درويشي ١٢

توجيهات إسلامية

لا تجلس معهم/ قاسم حسيني ١٤

تربية الأولاد في ضوء القرآن والسنة/للطالب: سعيد أحمدي..... ١٥

الضالة المنشودة/للطالب: عبد الله ملانيازي ١٧

وصايا لأهل القرآن/للطالب: عبد الماجد إسلامي ١٨

تأملات قرآنية

الملابس لها رسالة/عبد المجيد خداداديان ١٩

شخصيات

قلّما يجود الزمان بمثله/عبد الغفار ميرهادي ٢٣

سيف الدين باخرزي/للطالب: مصطفى جلدادي ٢٦

قضايا معاصرة

في انتظار مثل تلك الهبّة الإنسانية/ إلياس نظري ٢٨

أزمة أوكرانيا وحقيقة حقوق الإنسان/للطالب: محمد مقدم..... ٢٩

مقالات في الفكر

الاعتدال في التشريع/ للطالب: محمد ماري..... ٣١

الواقع الأليم للامة/ للطالب: خالد رسولي ٣٣

مهارت كتابية

قواعد الإملاء(١)/إلياس نظري..... ٣٥

من أنباء الجامعة

مولانا محمديوسف في الجامعة/للطالبين: داودي وقادري ٣٧

ملتقى الأدب العربي ٣٩

ترحب المجلة باقتراحات المفكرين وأصحاب اليراع في حركتها نحو إيجاد الوعي والصحوة الإسلامية في الأمة وتستدعي مساهمة جميع الكتاب في دورها الثقافي

المراسلات

إيران-خراسان-تايباد-جامعة أنوارالعلوم-مجلة الأنوار

الموقع: Www.Anvarweb.Net

دور الاجتهاد والتقليد في ضوء الشريعة الاسلامية

عبد الواحد مومني (عليبابي)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد؛قال الله تعالى: «فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾». نحل، أنبياء٧. قد دارالكلام في الأعداد الماضية من هذه الفصلية حول الفقه والفقهاء بإيجاز وأنا اليوم أرى من المناسب أن ألفت نظركم إلى نكتة مهمة قد أكثر الناس الكلام حوله دفاعا عنه وهجوما عليه، واشتدت الخصومة فيما بينهم، وهو قضية التقليد، بينما هم متفقون في أمر الاتباع والاجتهاد ذهب قوم إلى عدم جواز التقليد، وأوجبوا على كل مكلف الاجتهاد وتعلم وسائله وأدواته؛ وذهب قوم إلى جواز التقليد مطلقا للمجتهد والعاجز عن الاجتهاد؛ وذهب قوم إلى التفصيل وقالوا بجواز التقليد للعاجز عن الاجتهاد، والتحريم لمن يقدر عليه؛ والراجح هذا القول الأخير.

ولأن المسألة واضحة غير غامضة لا ينبغي أن تكون مثار جدال ونقاش؛ لأن المطلوب من كل مسلم مكلف أن يكون مطيعا لله ولرسوله امتثال ابالنصوص الكثيرة الصريحة؛ من ذلك قول الله تبارك وتعالى: «اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ»الاعراف٣. وقوله: «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا»الحشر٧. وقوله عز وجل: «وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ»آل عمران١٣٢. وكذلك: «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا»النساء٦٥. فالواجب طاعة الله وطاعة رسوله بالذات وبالأصالة؛ والطاعة لا تتحقق إلا بالرجوع إلى نصوص القرآن والحديث، واستخراج الأحكام منهما بعد الوقوف على مرادها؛ فإن لم يجد المكلف الحكم مصرحا في النصوص فيُضطر الى اللجوء إلى الاجتهاد، فيجتهد في إطار الشريعة؛ ولا شك أن هذا السلوك يستلزم الإدراك والمعرفة، وإن عجز عن التعرف على الحكم بهذا الطريق فعليه أن يعمل ولا يهمل؛ فيرجع إلى أهل العلم ويسألهم عن حكم تلك الواقعة الحادثة، ولا يفترض أن يسأل عالما معينا؛ لأن الله تعالى لم يقيده بذالك، ولا التزام بدون إلزام شرعي، وإنما عليه أن يتحرى الأعلم، الأفضل، الأورع؛ لأن ذلك قدرته، ولا يكلف الله نفسا الا وسعها.

الاجتهاد:

الاجتهاد واجب على كل من كان أهلا للاجتهاد، وأهل الاجتهاد من قامت فيه ملكته، وتوفرت فيه أسبابه ووسائله.

وما وصل إليه هذا المجتهد بالبحث والتنقير في الدليل فهو الحكم الشرعي في حقه، ويجب عليه أن يلتزم بذلك الحكم، ولا يجوز له تركه؛ فإن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر؛ ولكن إذا تغير اجتهاده في المسألة ذاتها؛ فعليه أن يعمل باجتهاده الجديد، ويترك قوله القديم، ولو كان الاجتهاد مخالفا للنص القطعي؛ فإنه يُنقض، ولا عبرة للاجتهاد المناقض للنص الصريح؛ لأنه لم يكن في الواقع اجتهادًا

المجتهد:

المجتهد هو من توفرت فيه أهلية الاجتهاد، والقدرة على استنباط الأحكام الشريعة العملية من أدلتها التفصيلية؛ إذن لا يعتبر الشخص فقيها مجتهدا إذا عرف الأحكام الشرعية بقراءته ودراسته الكتب الفقهية، أو بالتلقي من أفواه العلماء.

وقد عد العلماء شروطا للمجتهد:

١- معرفة اللغة العربية. ٢- معرفة آيات الأحكام ٣- معرفة أحاديث الأحكام ٤- المعرفة بأصول الفقه ٥- المعرفة بمواضع الإجمال ٦- المعرفة بمقاصد الشريعة ٧- الاستعداد الفطري للاجتهاد.

والمراد من هذا الشرط أن يكون عند من يريد الاستنباط استعداد جبلي للاستنباط؛ بأن يكون ذا ذهن ثاقب، وإدراك لطيف، وصفاء ذهن، ونفاذ بصيرة، وحدة في الذكاء. ولو وجدت الشروط الستة ولم يوجد الاستعداد الفطري فلا يصير الشخص مجتهدا كمن تعلم اللغة العربية، وعرف أوزان الشعر لا يكون شاعرا إذا لم يكن فيه استعداد فطرى لإنشاد الشعر.

الاجتهاد بابه مفتوح؛ لا مطلقا:

الاجتهاد باق إلى يوم القيامة، وليس مخصوصا بزمان دون زمان ومكان دون مكان، وما أفتى به بعض العلماء بسد باب الاجتهاد سببه صيانة الشريعة من عبث العابثين وأدعياء الاجتهاد.

دور المذاهب الإسلامية التفسير لا التشريع:

المذاهب الإسلاميه مدارس فقهية قد تأسست على أيدي علماء عظام اشتهروا بالعلم والاجتهاد والصلاح والتقوى، ولهم مولفات عديدة وفقهية قيمة. والذين عجزوا عن استنباط الحكم من المنابع الأصلية عليهم أن يرجعوا إلى أهل الفقه ويسألوهم؛ وهذا السوال قد يكون مشافهة، وقد يكون بمراجعة كتبهم المولفة الموثوق بها التي بمتناول أيديهم. المذاهب الاسلامية الحالية ليست أديانا ناسخة للاسلام؛ بل هي وجوه لتفسير الشريعة وفهمها، والكل يهدف الوصول إلى ما نزل الله وما شرّعه.

وعلينا كمسلمين أن نعرف أقدار المجتهدين أصحاب المذاهب الإسلامية، ونحترمهم، وندعو لهم، ونعتقد أنهم مأجورون إذا أصابوا أو أخطأوا؛ امتثالا لامر الله عزوجل. «وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ»الحشر١٠.

فالغرض من هذا الوجيز أن نكون بين الإفراط والتفريط، ولا نتكل على الآخرين، ونجلس مطمئنين متواكلين؛ بل نأخذ للأمر أهبته، وللسفر زاده، ونكون نافعين قبل أن نكون مستمدين رزقنا الله وإياكم توفيقا للقيام بالواجب الشرعي، ولا يجعلنا مخذولين بمنه وكرمه!

من يمد رجله لا يمد يده

علي الطنطاوي

حدثني بعض مشايخي عمَّن رأى بعينيه وسمع بأذنه، قال:وقعت الصيحة في «حيَّ الميدان» أجل أحياء دمشق وأكبرها، صبيحة يوم من أيام سنة ١٨٣١ بأن إبراهيم باشا، قادم لزيارة عالم الشام الشيخ سعيد الحلبي(١) في مسجده. وإبراهيم باشا من قد علمت في بطشه وجبروته، ومن يدُه إلى السيف أسرع من لسانه إلى القول وعينه إلى النظر، ومن كان جبار سورية وفاتحها وسيدها. فطار الفزع بألباب الميدانيين -وهم فرسان دمشق وحماتها- وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون، ماذا يصنعون؟ إنهم يعلمون أن الشيخ لا يقيم وزناً لأحد من أبناء الدنيا، فلا يبجل سلطاناً لسلطانه، ولا يوقر غنياً لغناه، ولا يقيس الناس بما على جسومهم من ثياب، ولا بما في صناديقهم من مال، ولا بما يبتزّون من أموال الدولة(٢)، ولكن يقيسهم بما في نفوسهم من فضائل، وما في قلوبهم من إيمان، وما في رؤوسهم من علم؛ وإذا نظر الناس من خارج فرأوا الطبْل سميناً عظيما نظر من داخل فرآه خالياً حقيراً. وكانوا يخشون أن يسوء ذلك من شأنه الباشا، ويودّون لو رجوا الباشا، ولكن كيف يصلون إليه وهو في قصره، حوله الحجّاب والأعوان، والجند بالسلاح، ومن حوله الموت ألواناً وأشكالاً يحمي حماه، ويحرس أبوابه. . . ويتمنون لو رَجوا الشيخ، ولكنّ الشيخ أعزّ من مائة ملك جبار، تحميه هيبته، ويحرسه تقواه وتحف به الملائكة واضعة له أجنحتها. ولم يكونوا يخافون أن ينال الشيخ بسوء؛ فهذا شيء تُحيله عقولهم لما استقر فيها من إجلال الشيخ وإكباره، ولا تراه أبصارهم، ولكنهم كانوا يخشون الشيخ على الباشا، ويخشون الباشا على أنفسهم. ومضوا يقيمون معالم الزينة، ويبنون أقواس النصر، ويرفعون الرايات على طريق البطل الفاتح، ويقطفون أزهى أزهار الغوطة لينثروها عليه... فما كان الأصيل حتى تم كل شيء، وأقبل الباشا في الموكب الفخم، والجند والسلاح والدَّبدَبَة، حتى انتهى إلى باب المسجد وكان باباً صغيراً فاعترض الباشا كأنه يقول له: ارجع أو أرجع دنياك! إنك تدخل بيت الله بشراً خاضعًا، أما أن تكون تزوير إله... بألف عبد، وألف ثوب، فلا! إنه لا يجتمع ميراث النبوة التي جاءت بالتوحيد والمساواة، ببقايا الجاهلية التي قامت على الشرك والتمييز بين الناس إلا محي أحدهما. فانظر هل محا باطل حقاً؟ قال الراوي: وتردد الباشا هنيهة يفكر. ثم أبعد أعوانه وترجّل ودخل المسجد منفرداً، وكان الشيخ جالساً على حصير وقد وُضعت فوقه حشية، وكان ماداً رجله فسمعته يقول: ... والمرء إذا خاف الله، وصدق في مخافته خافه كل شيء؛ لأنه لا يرى كبيراً إلا صغّره عنده أن الله أكبر. الله أكبر؛ إن لهذه سراً إلهياً، ولكن المسلمين استعجموا فلا يرددون منها إلا حروفها فارغة من المعنى، وما فرض الله على المسلم أن يقولها كل يوم خمسا وثمانين مرة -أقل ما يقولها.، ويسمعها من المنارة ثلاثين مرة إلا ليعلم أنه لا كبير في الدنيا وأن من كان مع الله لم يبال شيئاً: لا الملك ولا المرض ولا الوحش، فلو أن المسلم عرف معنى هذه الكلمة وهو يقولها ما عرف الذل ولا الجبن ولا الكسل. قال رجل من طرف الحلقة: فإن قتله الملك يا سيدي الشيخ، أو أماته المرض؟

فقال الشيخ: سبحان الله! وهل يهاب المسلم القتل؟ أو يبغض الموت؟ إن الموت شديد لأنه انقطاع اللذات، وخسران الدنيا، ولكنه لا يكون بهذا المعنى إلا عند الكافر الذي يعيش في الدنيا، ويستمتع بملاذها؛ أما من كان يتهيأ فيها للعيشة الخالدة ويقيم فيها كالمستعد للسفر، ويرقب ساعته كما يرقب المسافر ساعة القطار، ويراه حين يمضي ليلقى ربه، كالآيب إلى وطنه حين يذهب ليلقى أهله وصحبه... من كان هذا شأنه لا يرى في الموت موتاً، وإنما يرى فيه ولادة جديدة، وابتداء حياة. وقد حفظنا من مشايخنا أن أفضل الشهداء رجل يقول كلمة حق عند إمام جائر فيقتله بها. وكان الباشا قد وقف على الحلقة منتفخاً، مصعراً خدّه، شامخاً بأنفه، فنظر إليه الشيخ -رحمه الله- فلم يتغيّر ولم يبد عليه أنه رأى فيه أكثر من رجل، وأشار إليه (أن اجلس) كما كان يفعل بغيره، فلم يتمالك الباشا أن جلس. ونظر في الحاضرين يقلب فيهم بصره، يفتش عن شيء أضاعه فيهم، عن الخضوع والإكبار اللذين تعوّد أن يراهما

حولـه دائمـاً، ينتظـر أن يقومـوا لـه، وأن يقفـوا بـين يديـه صفـاً، ولم يـدر أن القـوم كانـوا في غـير هـذا، لم يـدر أن الشـيخ قـد عـلا بهـم، حتـى جعلهـم يطلـون عـلى الدنيـا مـن شرفـة طيـارة، أو مـن قطـع السـحاب، فـيرون الأرض كلهـا كمَفحَـص قطـاة، ولا يـرون في الباشـا العظيـم إلا نملـة. فمنـذا الـذي يحفـل بنملـة؟! وأجـال الباشـا نظـرة فيهـم حتـى علـق برجـل الشـيخ، -وكانـت ممـدودة نحـوه- فأثـار مرآهـا كبريـاءه وسـلطانه، ورأى فيهـا علامـة تعجـب أضيفـت إلى عظمتـه وجلالـه إضافـة سـخرية وتهكـم؛ ورآهـا كبـيرة في عينيـه، فأحـس كأنمـا هـي في عينـه، ونظـر في الحاضريـن: ألم يجـرد واحـد منهـم سـيفه يتقـرب إلى الباشـا بقطّهـا؟ وكان الباشـا ينظـر بعـين بـصره المادية، لم تُفتـح بعـدُ عـين بصيرتـه المعنويـة، فيفاضـل بـين قـصره وسريـره، ومـكان الشـيخ وحصـيره، وبـين جنـده وأعوانـه، وتلاميـذ الشـيخ وإخوانـه، فيوقـن أن دنيـا الشـيخ كلهـا لا تثبـت لحظـة لسـيفه الـذي لم تثبت له دنيـا الخليفة العثـماني (إمبراطـور الـشرق). وكان كالأسـد الـذي زعمـوا أنه مر على قنبلـة مـن القنابـل المدمـرة ملقـاة في أجمتـه، فعجـب منهـا وحقرهـا وقـال: ويحـك أي حيـوان أنـت؟ يـا للضعـف والمهانـة! أيـن الأنيـاب؟ أيـن المخالـب؟ أيـن... أيـن... يـا للهـوان! مـاذا يصنـع بأهلـه؟! قالوا: ثم ركلها برجله، فانفجرت القنبلة!

وانفجـرت القنبلـة مـن فـم الشـيخ فرجـع يتكلـم. قـال: ومـن عجيـب صنـع اللـه في الإنسـان أن خلقـه حيوانـاً كالحيـوان، ولكنـه وضـع فيـه مَلَـكا ووضـع فيـه شـيطاناً، فمـن كان همَّـه مـن دنيـاه لذتـا بطنـه وفرجـه، وابتغاهـما مـن حـل ولم يعـرف غيرهـما لم يكـن فيـه إلا الحيـوان، فهـو يرتـع كـما يرتـع الحـمار، ويتبـع غريزتـه كـما يتبـع؛ ومـن كان همـه اللـذة مـن حـل وحرمـة، ومـن كان لا يبـالي مـا اجـترح مـن السـيئات، لم يكـن فيـه إلا الشـيطان، وكان العقـرب والخنفسـاء خـيراً منـه، لأن مصيرهـما إلى الـتراب ومصـيره إلى النـار، ومـن كان همـه أن يعيـش في هـذه الحيـاة كـما يعيـش في مدرسـة يتلقـى فيهـا أسـاليب الكـمال، فهـو الإنسـان حقـاً. ومـن عجيـب صنـع اللـه في الإنسـان، أنـه وضـع في نفسـه الملَـك، فـلا يحتـاج مهـما كان ضـالاً فاسـقاً ظالمـاً إلا إلى تنبيـه الملَـك في نفسـه، ليطـرد الشـيطان، ويقـود الحيـوان، فلسـت أنـت الـذي يعظه، ولكنه يعظ حينئذ نفسه. وهذا معنى قولهم:

لا تنتهي الأنفس عن غيها

ما لم يكن منها لها زاجرُ

وذلـك ثوابـه في الجنـة، والجنـة لا تكـون بالتشـهي والأمـل، ولكـن بالجـد والعمـل. ولـو أن تلميـذاً أمـضى عامـه في لعبـه ولهـوه، ثـم تمنـى النجـاح، أكان ينجـح؟ ولو أن صيـاداً ألقى بندقيتـه فلم يضرب بهـا ورمـى شـبكته فلـم ينصبهـا، ثم حلـم بالقنيصـة، أكانـت أحلامه تعـدو في إثـر الغـزال حتـى تـأتي بـه مكتوفـاً؟ أم كانـت السـمكة تأتيـه وحدهـا وعـلى ظهرهـا الملـح والفلفـل تقـول لـه: كلنـي؟ قـال رجـل: ولكـن القلـوب قسـت يـا سـيدي الشـيخ، فـما علاجهـا؟ قـال: إن الشـيطان لا يـأتي إلا مـن إشـعاره الكـمال، فأشـعر نفسـك النقـص، وذكّرهـا في الصحـة المـرض، وفي الحيـاة المـوت. ولقـد أدركنا مـن مشـايخنا مـن إذا قسـا قلبـه أمّ المستشـفى أو قصـد المقـبرة، فخـوف نفسـه المـرض وذكّرهـا المـوت. والمؤمـن لا يـزال بخـير مـا زال بـين الخـوف والرجـاء، فـإن لم يخـف أو لم يـرج فقـد هـوى. ولقـد سـمعنا أن منهـم مـن كان يـدني يـده مـن المصبـاح ويقـول: يـا نفـس! إن لم تصـبري عـلى هـذا فكيـف -ويحـك- تصبريـن عـلى نـار جهنـم؟ وإن المؤمـن مـا ثـارت في نفسـه شـهوة، إلا أطفأهـا بأنهـار الجنـة، أو أحرقهـا بنـار جهنـم، فاسـتراح منهـا. ومـا الإنسـان لـولا العقـل؟ وكيـف يكـون العقـل إن لم يكـن معـه الإيمـان؟ إنـه لا يكـون إذن إلا كـما قالـوا: أوّلـه نطفـة مـذرة، وآخـره جيفـة قـذرة. وللسـلطان سـكرة، فمـن أسـكره سـلطانه وعزتـه على النـاس، فليذكـر هوانـه عـلى اللـه، وأن اللـه أهلـك أشـد الملـوك: النمـرود بأضعـف الخلـق: البعـوض! فيـا مـن أصلـه مـن الـتراب، لا تنـس أن نهايتك إلى التراب!

> وإن المؤمن ما ثارت في نفسه شهوة، إلا أطفأها بأنهار الجنة، أو أحرقها بنار جهنم، فاستراح منها. وما الإنسان لولا العقل ؟ وكيف يكون العقل إن لم يكن معه الإيمان ؟

وكان الباشـا يشـعر، والشـيخ يتكلـم، كأنـه كان محبوسـاً في صنـدوق، ثـم فتـح عينيـه فنشـق الهـواء الطلـق، أو كأنـه كان في ظلمـة فاحمـة، فطلـع الشـيخ عليـه شمسـاً نـيرة، فتضـاءل حتـى جلـس عـلى ركبتيـه، ورأى نفسـه دون هـؤلاء كلهـم، لأنهـم ألصـق منـه بالشـيخ وأدنى إليـه، ولم يعـد يزعجـه مـرأى الشـيخ وهـو مـاد رجلـه... بـل كان يـراه الغريـق ويراهـا خشـبة النجـاة، وكان يبصرهـا عاليـة كجنـاح النـسر المحلـق، ثـم لم يعـد يـرى فيهـا شـيئاً، لقـد اسـتحال الشـيخ في نظـره إلى فكـرة... لم يعـد يـرى فيـه إلا الحقيقـة تمثلـت إنسـاناً! قـال الـراوي: «فلما ذهب الباشـا، بعث إلى الشـيخ بكيـس فيـه ألـف دينـار مـن الذهـب العـين، فلما جـاءه بـه الرسـول وألقـاه بـين يديه تبسـم الشـيخ -رحمـه اللـه- ورده إليـه، وقـال لـه: سـلم عـلى سـيدك وقـل لـه: إن من يمـد رجله لا يمد يـده...»(٣)

القصـة مأخـوذة مـن كتـاب «قصـص مـن التاريـخ لعـلي الطنطاوي.

. . . . . .

١- كان عالم الشـام قبل طبقة الشـيخ محمود الحمزاوي، والشـيخ محمد الطنطـاوي (جدنـا الذي قدم من مصر) والشـيخ بكر العطار وأصحابهم.

٢- يعني الرواتب

٣- هـذه الفقـرة هـي أصـل الفقـرة التـي رويناهـا وبنيناهـا عليـه.

أسرار الصوم وشروطه الباطنة

للإمام أبي حامد الغزالي

اعلم أن الصوْمَ ثلاث درجات: صوم العموم، وصوم الخصوص، وصوم خصوص الخصوص، وأما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله، وأما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام، وأما صوم خصوص الخصوص فهو كف القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية، وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية، ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله عز وجل واليوم الآخر وبالفكر في الدنيا إلا دنيا تراد للدين؛ فإن ذلك من زاد الآخرة وليس من الدنيا؛ حتى قال أرباب القلوب: من تحركت همته بالتصرف في نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة، فإن ذلك من قلة الوثوق بفضل الله عز وجل وقلة اليقين برزقه الموعود وهذه رتبة الأنبياء والصديقين والمقربين، ولا يطول النظر في تفصيلها قولًا ولكن في تحقيقها عملًا؛ فإنه إقبال بكنه الهمة على الله عز وجل، وانصراف عن غير الله سبحانه، وتلبّس بمعنى قوله عز وجل: «قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ» الأنعام/٩١

وأما صوم الخصوص وهو صوم الصالحين فهو كف الجوارح عن الآثام وتمامه بستة أمور:

الأول:

غض البصر وكفه عن الاتساع في النظر إلى كل ما يذم ويكره وإلى كل ما يشغل القلب ويلهي عن ذكر الله عز وجل، قال -صلى الله عليه وسلم-: «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس لعنه الله، فمن تركها خوفًا من الله آتاه الله عز وجل إيمانًا يجد حلاوته في قلبه»(١).

وروى جابر عن أنس عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «خمس يفطرن الصائم: الكذب، والغيبة، والنميمة، واليمين الكاذبة، والنظر بشهوة»(٢).

الثاني:

حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء، وإلزامه السكوت، وشغله بذكر الله سبحانه وتلاوة القرآن فهذا صوم اللسان، وقد قال سفيان: الغيبة تفسد الصوم. رواه بشر بن الحارث عنه، وروى ليث عن مجاهد: خصلتان يفسدان الصيام: الغيبة والكذب. وقال -صلى الله عليه وسلم-: «إنما الصوم جنة؛ فإذا كان أحدكم صائمًا فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم، إني صائم» (٣)

وجاء في الخبر أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار، حتى كادتا أن تتلفا فبعثتا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تستأذنانه في الإفطار، فأرسل إليهما قدحاً وقال -صلى الله عليه وسلم-: «قل لهما قيئا فيه ما أكلتما» فقاءت إحداهما نصفه دمًا عبيطًا ولحمًا غريضًا، وقاءت الأخرى مثل ذلك حتى ملأتاه، فعجب الناس من ذلك! فقال -صلى الله عليه وسلم-: «هاتان صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله تعالى عليهما، قعدت إحداهما إلى الأخرى فجعلتا يغتابان الناس فهذا ما أكلتا من لحومهم» (٤)

الثالث:

كف السمع عن الإصغاء إلى كل مكروه؛ لأن كل ما حرم قوله حرم الإصغاء إليه، ولذلك سوّى الله عز وجل بين المستمع وآكل السحت، فقال تعالى: «سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ»المائدة/٤٢. وقال عز وجل: «لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ » المائدة/٦٣. فالسكوت على الغيبة حرام، وقال تعالى: «إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا » النساء/١٤٠. ولذلك قال -صلى الله عليه وسلم-: «المغتاب والمستمع شريكان في لإثم» (٥)

الرابع:

كف بقية الجوارح عن الآثام من اليد والرجل عن المكاره، وكف البطن عن الشبهات وقت الإفطار، فلا معنى للصوم وهو الكف عن الطعام الحلال ثم الإفطار على الحرام،

فمثال هذا الصائم مثال من يبني قصرا ويهدم مصرا؛ فإن الطعام الحلال إنما يضر بكثرته لا بنوعه؛ فالصوم لتقليله، وتارك الاستكثار من الدواء خوفا من ضرره إذا عدل إلى تناول السم كان سفيها، والحرام سم مهلك للدين، والحلال دواء ينفع قليله ويضر كثيره، وقصد الصوم تقليله. وقد قال -صلى الله عليه وسلم-: «كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش» (٦) فقيل هو الذي يفطر على الحرام، وقيل هو الذي يمسك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالغيبة وهو حرام، وقيل هو الذي لا يحفظ جوارحه عن الآثام.

الخامس:

أن لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الإفطار بحيث يمتلىء جوفه؛ فما من وعاء أبغض إلى الله عز وجل من بطن مليء من حلال. وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة إذا تدارك الصائم عند فطره ما فاته ضحوة نهاره؟! وربما يزيد عليه في ألوان الطعام حتى استمرت العادات بأن تدخر جميع الأطعمة لرمضان؛ فيؤكل من الأطعمة فيه ما لا يؤكل في عدة أشهر.

ومعلوم أن مقصود الصوم الخواء وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى. وإذا دفعت المعدة من ضحوة نهار إلى العشاء حتى هاجت شهوتها وقويت وأشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها وانبعث من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها.

فروح الصوم وسره تضعيف القوى التي هي وسائل الشيطان في العود إلى الشرور، ولن يحصل ذلك إلا بالتقليل: وهو أن يأكل أكلته التي كان يأكلها كل ليلة لو لم يصم، فأما إذا جمع ما كان يأكل ضحوة إلى ما كان يأكل ليلا فلم ينتفع بصومه؛ بل من الآداب أن لا يُكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش، ويستشعر ضعف القوى، فيصفو عند ذلك قلبه، ويستديم في كل ليلة قدرا من الضعف حتى يخف عليه تهجده وأوراده، فعسى الشيطان أن لا يحوم على قلبه فينظر إلى ملكوت السماء.

وليلة القدر عبارة عن الليلة التي ينكشف فيها شيء من الملكوت؛ وهو المراد بقوله: «إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ» القدر/١. ومن جعل بين قلبه وبين صدره مخلاة من الطعام فهو عنه محجوب، ومن أخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب ما لم يخل همته عن غير الله عز وجل؛ وذلك هو الأمر كله، ومبدأ جميع ذلك تقليل الطعام وسيأتي له مزيد بيان في كتاب الأطعمة إن شاء الله عز وجل.

السادس:

أن يكون قلبه بعد الإفطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجاء؛ إذ ليس يدري أيقبل صومه فهو من المقربين؟! أو يرد عليه فهو من الممقوتين؟! وليكن كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها؛ فقد روي عن الحسن بن أبي الحسن البصري أنه مر بقوم وهم يضحكون، فقال: إن الله عز وجل جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه لطاعته، فسبق قوم ففازوا وتخلف أقوام فخابوا، فالعجب كل العجب للضاحك

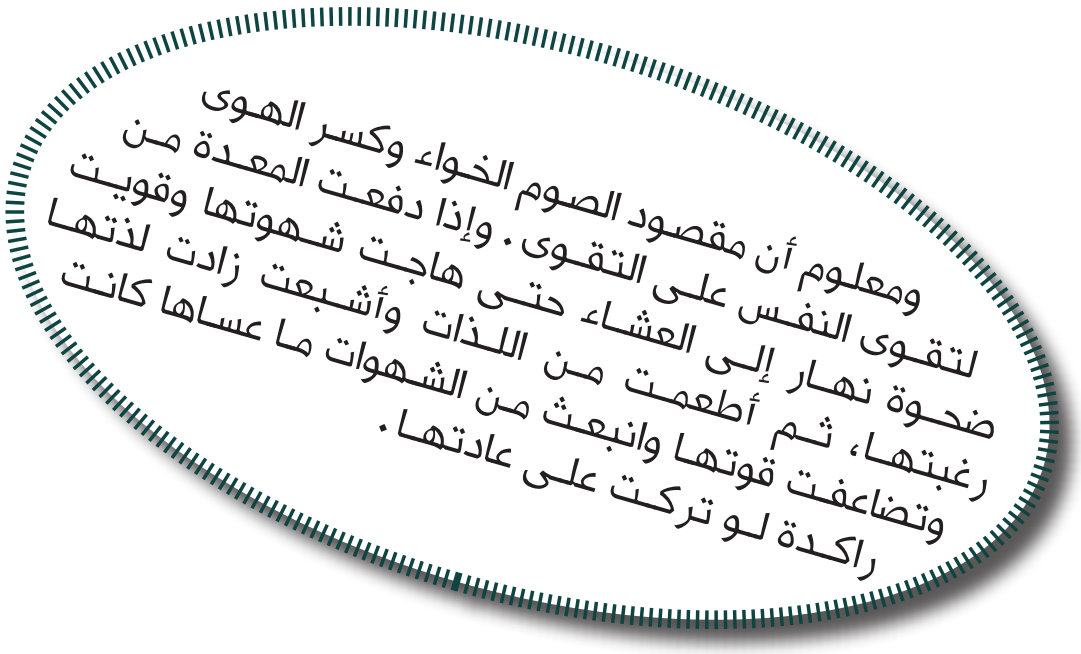

اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابقون وخاب فيه المبطلون! أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته أي: كان سرور المقبول يشغله عن اللعب، وحسرة المردود تسد عليه باب الضحك. وعن الأحنف بن قيس أنه قيل له: إنك شيخ كبير وإن الصيام يضعفك، فقال: إني أعده لسفر طويل والصبر على طاعة الله سبحانه أهون من الصبر على عذابه. فهذه هي المعاني الباطنة في الصوم.

فإن قلت: فمن اقتصر على كف شهوة البطن والفرج وترك هذه المعاني فقد قال الفقهاء: صومه صحيح فما معناه؟! فاعلم أن فقهاء الظاهر يثبتون شروط الظاهر بأدلة هي أضعف من هذه الأدلة التي أوردناها في هذه الشروط الباطنة، لا سيما الغيبة وأمثالها؛ ولكن ليس إلى فقهاء الظاهر من التكليفات إلا ما يتيسر على عموم الغافلين المقبلين على الدنيا الدخولُ تحته. فأما علماء الآخرة فيعنون بالصحة القبولَ، وبالقبول الوصولَ إلى المقصود، ويفهمون أن المقصود من الصوم التخلق بخلق من أخلاق الله عز وجل وهو الصمدية، والاقتداء بالملائكة في الكف عن الشهوات بحسب الإمكان؛ فإنهم منزهون عن الشهوات.

والإنسان رتبته فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته، ودون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه وكونه مبتلى بمجاهدتها؛ فكلما انهمك في الشهوات انحط إلى أسفل السافلين والتحق بغمار البهائم، وكلما قمع الشهوات ارتفع إلى أعلى عليين والتحق بأفق الملائكة.

والملائكة مقربون من الله عز وجل، والذي يقتدي بهم ويتشبه بأخلاقهم يقرب من الله عز وجل كقربهم؛ فإن الشبيه من القريب قريب، وليس القريب ثَمّ بالمكان بل بالصفات، وإذا كان هذا سر الصوم عند أرباب الألباب وأصحاب القلوب فأي جدوى لتأخير أكلة وجمع أكلتين عند العشاء مع الانهماك في الشهوات الأخر طول النهار؟! ولو كان لمثله جدوى فأي معنى لقوله -صلى الله عليه وسلم-: «كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صَوْمِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ»؟! ولهذا قال أبو الدرداء: يا حبذا نوم الأكياس وفطرهم! كيف لا يعيبون صوم الحمقى وسهرهم؟! ولذرة من ذوي يقين وتقوى أفضل وأرجح من أمثال الجبال عبادة من المغترين! ولذلك قال بعض العلماء: كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم. والمفطر الصائم هو الذي يحفظ جوارحه عن الآثام ويأكل ويشرب، والصائم المفطر هو الذي يجوع ويعطش ويطلق جوارحه.

ومن فهم معنى الصوم وسره علم أن مَثل من كف عن الأكل والجماع وأفطر بمخالطة الآثام كمن مسح على عضو من أعضائه في الوضوء ثلاث مرات، فقد وافق في الظاهر العدد إلا أنه ترك المهم وهو الغسل؛ فصلاته مردودة عليه بجهله. ومثل من أفطر بالأكل وصام بجوارحه عن المكاره كمن غسل أعضاءه مرة مرة؛ فصلاته متقبلة إن شاء الله لإحكامه الأصل وإن ترك الفضل. ومثل من جمع بينهما كمن غسل كل عضو ثلاث مرات؛ فجمع بين الأصل والفضل، وهو الكمال. وقد قال -صلى الله عليه وسلم-: «إن الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته!» (٧) لما تلا قوله تعالى: « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا» وضع يده على سمعه وبصره وقال: «السمع أمانة والبصر أمانة»(٨).

ولولا أنه من أمانات الصوم لما قال -صلى الله عليه وسلم-: فليقل: إني صائم! أي: إني أودعت لساني لأحفظه، فكيف أطلقه بجوابك؟!

فإذن قد ظهر أن لكل عبادة ظاهرًا وباطنا، وقشرًا ولبًا، ولقشرها درجات، ولكل درجة طبقات، فإليك الخيرة الآن في أن تقنع بالقشر عن اللباب أو تتحيز إلى غمار أرباب الألباب.

.....

١- حديث «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس... الحديث» أخرجه الحاكم وصحح إسناده من حديث حذيفة.

٢- حديث جابر عن أنس «خمس يفطرن الصائم... الحديث» أخرجه الأزدي في الضعفاء من رواية جابان عن أنس وقوله جابر تصحيف. قال أبو حاتم الرازي هذا كذاب.

٣- حديث: «الصوم جنة فإذا كان أحدكم صائما... الحديث» أخرجاه من حديث أبي هريرة.

٤- حديث: «أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ... الحديث» في الغيبة للصائم أخرجه أحمد من حديث عبيد مولى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الحديث بسند فيه مجهول.

٥- حديث: «المغتاب والمستمع شريكان في الإثم» غريب، وللطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف: «نهى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الغيبة وعن الاستماع إلى الغيبة»

٦- حديث: «كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش» أخرجه النسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة.

٧- حديث: «إنما الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته» أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود في حديث في الأمانة والصوم وإسناده حسن.

٨- حديث: «لما تلا قوله تعالى: « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا» وضع يده على سمعه وبصره وقال: «السمع أمانة والبصر أمانة» أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة دون قوله السمع أمانة.

كيف نربح في رمضان ولا نخسر؟

مجتبى أمتي

شهر رمضان شهر الله المبارك الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، فرصة سانحة وغنيمة باردة، موعد المتقين مع ربهم الودود الكريم، موعد ينتظرونه بفارغ الصبر كالعاشق العطشان الذي طال عهده، وقته قليل وربحه كثير؛ لأن الله بمنه وكرمه أدرَّ على عباده شآبيب الرحمة والمغفرة، غلّق أبواب النار، فتّح أبواب الجنة، ضاعف الأجور، جعل ليلة القدر خيرًا من ألف شهر، ماذا نفعل لنربح في هذه الصفقة ولا نخسر، ونكون من الفائزين المغفورين؟!

١- الاستعداد والتأهب لرمضان من رجب وشعبان:

كما ورد في الحديث اذا دخل هلال رجب دعا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان». وعن أسامة بن زيد -رضي الله عنه- قال: يا رسول الله! لم أرك تصوم شهرا من الشهور ما تصوم من شعبان، قال: «ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين؛ فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم». رواه النسائي قال معلى ابن الفضل: كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ويدعونه ستة أشهر أن يتقبل منهم.

٢- استعظام رمضان واستحضار فضائله:

فينبغي للمسلم أن يحرص على تعظيم رمضان؛ لأن القرآن نزل فيه، كما قال تعالى في سورة البقرة: «شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ» وقال في سورة القدر: «إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ». ونزول القرآن أكبر حادث وأيمن حادث في التاريخ الإنساني؛ إذ غيّر مجرى البشرية من الانحطاط إلى الاعتزاز؛ لذلك نرى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أشد اهتماما بالقرآن في رمضان من سائر الشهور، ويأتيه جبرئيل ويدارسه القرآن، والسلف الصالح -رضي الله عنهم أجمعين- يُعنَون به أكبر عناية؛ فإمام دار الهجرة مالك -رحمه الله- يترك رواية الحديث ويشتغل بالتلاوة، والإمام الشافعي -رحمه الله- يختم القرآن في رمضان ستين مرة، والإضافة إلى ذلك ينفتح على التالي والقارئ باب فهم القرآن أكثر من قبل إذ رزقه الله التأملات، وأخذ الدروس والعبر منه لا مجرد التلاوة. ورمضان عظيم؛ لأن ليله القدر التي هي خير من ألف شهر وقعت فيه، ولا ينحصر الفضل في ليلة القدر لوجود الأجر والثواب؛ بل الأفضل والأهم هو التزاور بالملائكة مع قيادة جبرئيل، وانتقال الصفات الملكية إلى الإنسان، والتغير والتخلص من الصفات الرذيلة، والتحلي بالصفات الحميدة؛ فلأجل هذا المهم اعتكف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تسعه رمضانات، يعني جميع رمضانات حياته للبحث عن هذا الفضل القيم.

٣- السعي لترك المعاصي في رمضان

لكون رمضان أحسن مجال لترك الذنوب والمعاصي؛ فإن الشياطين تصفَّد وأبواب الجنة والرحمة تفتّح؛ فإذا كان للصائم عزيمة على ترك المنكرات فالله يساعده، وهذا هو المراد من الصيام كما ورد في الحديث: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه». فيحسن بالصائم أن يعوّد نفسه على ترك ذنوب يعتادها طيلة العام.

٤- التخطيط والبرنامج لكل لحظة من لحظات رمضان والاستفادة منها: لأن الأجور تضاعف فيه والمحروم والشقي من حرم نفسه وخسر في هذه التجارة العظيمة والربح الكثير.

٥- ترك الملاهي والإقبال على ذكر الله لاسيما الاستغفار:

وصيغ الاستغفار كثيرة لابد من تعلمها في ضوء الأحاديث وترددها صباح مساء، لأن رمضان شهر المغفرة وما أسعد الصائم إذا رطّب لسانه بالاستغفار الدائم واللجوء إلى الله والخلوة به ومناجاته. قال الإمام الغزالي -رحمه الله-: صيام الخواص هو الاحتراز عن غفلة القلب.

٦- الدعاء والتفرغ إلى الله في جميع ساعات رمضان منذ دخول الهلال إلى خروجه، فإنه شهر الدعاء.

عامٌ مَضَى مِن عُمْرِنا في غفْلةٍ...فَتَنَبَّهوا فالعُمْرُ ظلُّ سَحابِ
وَتَهيّؤوا لِتَصَبُّرٍ ومشقَّةٍ...فَأَجورُ من صَبَروا بِغيرِ حِسابِ
اللهُ يَجزي الصّائِمينَ لِأنّهم...مِنْ أَجلِهِ سَخِروا بِكلِ صِعابِ
وَوَقاهم المَولى بحرِّ نَهارِهم...ريحَ السَّمومِ وشرَّ كلِّ عذابِ
لا يَدخلُ الريَّانَ إلّا صائمٌ...أَكْرِمْ ببابِ الصَّومِ في الأبوابِ

متى تنتهي الشهوات؟!

نعيم فاضلي

قد خلق اللّه الإنسان وسطا بين الملائكة والحيوانات، ورُكّبت فيه طبائع هذين الجنسين المتناقضين، فهو مزيج من الخواص الملكية والخواص الحيوانية؛ أحيانا تغلبت فيه الطبيعة الملكية فيتجرّد عن الدنيا وما فيها من القصور الشامخة والأبنية العملاقة، ولهج لسانه بالذكر وقلبه مطمئن بالإيمان، لا أحزنته هموم الدنيا ولا تشغل باله، إذا كثرت مصائبه فازداد إيمانه باللّه، كما قال اللّه تبارك وتعالى : «الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴿١٧٣﴾». آل عمران. ولا تستطيع الدنيا أن تُظهر نفسها له؛ لأنه تفتح فيه الكوة إلى الملكوت الأعلى، ويشعر بالحلاوة التي تعجز لغات الأرض أن تعبّر ما جرى في ضميره من اللذة والبهجة والسرور، ويحلّق روحه في الأجواء الفسيحة التي لا نهاية لها، ورأى ألوانا وأشكالا، لا يقدر أن يصفها للآخرين ويخوض في المعاني بدلا أن يخوض في الكلمات، يسكت كثيرا بدلا أن يُكثر في الكلام، يتبسم بدلا أن يقهقه كما نُقل في كتب السِيَر من رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم: «وَكَانَ طَوِيلَ السُّكُوتِ لَا يَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ، يَفْتَتِحُ الْكَلَامَ وَيَخْتَتِمُهُ بِأَشْدَاقِهِ، وَيَتَكَلَّمُ بِجَوَامِعِ الْكَلَامِ، فَصْلٌ لَا فُضُولٌ وَلَا تَقْصِيرٌ، وَكَانَ لَا يَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا فِيمَا يَرْجُو ثَوَابَهُ، وَإِذَا كَرِهَ الشَّيْءَ عُرِفَ فِي وَجْهِهِ، وَلَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَلَا صَخَّابًا. وَكَانَ جُلَّ ضَحِكِهِ التَّبَسُّمُ، بَلْ كُلُّهُ التَّبَسُّمُ، فَكَانَ نِهَايَةُ ضَحِكِهِ أَنْ تَبْدُوَ نَوَاجِذُه».

هو يصطبغ بالملائكة الذين كانوا يعكفون على عبادته وتسبيحه وتمجيده وتقديسه وينخرط في سلكهم ويرفض الألواث البهيمية ويترك ما لا يعنيه، ولا يعبث ولا يلهو ولايلعب؛ بل استجمع قواه وأفكاره علام خُلقوا لأجله كما قال اللّه عزّ وجلّ: «وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ» أما إذا تغلّبت فيه الطبيعة الحيوانية تبدو فيه الصفات البهيمية استجمت أفكاره على الشرب والأكل والشهوة، لا يتبع أمرا هادفا في حياته؛ بل يخبط خبط العشواء، كما قال الإمام الندوي في هذا الموضوع: «إذا تغلبت فيه الطبيعة الحيوانية وملكت زمام الحياة، واستحوذت على مشاعر الإنسان وحواسه، وأصبحت «المعدة» هو القطب الذي تدور حوله الحياة، شُقّ على الإنسان كل ما يحول بينه وبين رغبته، وما يشغله عن إرضاء نهمته، وكل ما يذكّره بمبدئه ومصيره وما يصور له الحساب، والاحتساب، والجزاء والعقاب، فلا يجد في أعوام طوالٍ وقتا صافيا، وقلبا فارغا، وعقلا يقظا، وضميرا حيّا؛ فتثقل عليه العبادة والذكر وما يتصل بهما، ولا يجد لذتهما بطبيعة الحال... «وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾« البقرة. «وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا» نحن نعيش في عصر لقد ازدادت الفتن وتفاقم الشر، وأنشبت الشهوات أظفارها في المجتمع، وأرادت أن تهدم مقاييس القيم ولا يستطيع أي قانون وحكم أن يسُدّ نفوذها، كالسيل الجارف يجري ويسيل بسرعة ويدخل في كل حفرة ونقب ولا يُبقي مكانا جافا إلا أحاط به الماء. مع الأسف البالغ لا يسلم من هذه الشهوات الشيوخ الذين هم على شرف الموت، ويعدّون الثواني الأخيرة من عمرهم؛ بل تسربت في قلوبهم لذتها، ويعملون أعمالا يستحيي الإنسان من ذكرها وترددها؛ بل نقف حائرين مبهوتين من شدة وغلظ هذه الفتن، ويذكّرنا حديث الرسول حيث قال: «أللهم نعوذبك من نفس لا تشبع...» نعم إخواني في الله أين المفر؟ و أين الملجأ؟ وأين ساحل الأمن؟ إلى أي مكان نفر؟ وإلى أي مكان نأوي؟ وإلى أي مكان نلجأ؟ ، لقد يجيبنا الله في القرآن إجابة رائعة تهزّ المشاعر والمواهب فقال: «فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ»، قالَ ابْنُ عَبّاسٍ في قَوْلِهِ تَعالى: «فَفِرُّوا إلى اللَّهِ» فِرُّوا مِنهُ إلَيْهِ، واعْمَلُوا بِطاعَتِهِ، وقالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: فِرُّوا مِمّا سِوى اللَّهِ إلى اللَّهِ، وقالَ آخَرُونَ: اهْرُبُوا مِن عَذابِ اللَّهِ إلى ثَوابِهِ بِالإيمانِ والطّاعَةِ.

لقد اقتضت رحمة الله أن يرشدنا ويهدينا إلى أمور تخرجنا من هذه الطبيعة البهيمية الفاسدة وتقوي فينا الطبيعة الملكية حتى نستطيع أن نغلبها وتكون خاضعة لنا.

إحدى هذه الأمور هي تشريع الصوم، وقد أشار إلى ذلك حجة الاسلام الغزالي في أسلوبه الخاص، فقال: «المقصود من الصوم ،

التخُلّق
بخلق
من أخلاق
اللّه عز وجل
و هو الصمدية
والاقتداء بالملائكة في
الكف عن الشهوات
بحسب الإمكان؛ فإنهم
منزّهون عن الشهوات،
والانسان رتبته فوق رتبة البهائم؛
لقدرته بنور العقل على كسر شهوته،
ودون رتبة الملائكة؛ لاستيلاء الشهوات عليه وكونه
مبتلى بمجاهدتها، فكلما انهمك في الشهوات انحطّ إلى
أسفل السافلين، والتحق بغمار البهائم، وكلما قمع
الشهوات ارتفع إلى أعلى عليين والتحق بأفق الملائكة».

ويزيده العلامة ابن القيم إيضاحا وتفصيلا فيقول: «المقصود
من الصيام حبس النفس عن الشهوات، وفطامها عن
المألوفات، وتعديل قوتها الشهوانية، لتستعد لطلب ما فيه
غاية سعادتها ونعيمها، وقبول ما تُزكّوا به مما فيه حياتها
الأبدية ويكسّر الجوع والظمأ من حدتها وسورتها بما للأكباد
الجائعة من المساكين وتضييق مجاري الشيطان من العبد
بتضييق مجاري الطعام والشراب، وتحبس قوى الأعضاء عن
استرسالها لحكم الطبيعة فيما يضرها في معاشها ومعادها،
ويسكّن كل عضو منها، وكل قوة عن جماحه، وتلجم بلجامه،
فهو لجام المتقين وجنة المحاربين ورياضة الأبرار والمقرّبين.
نحن الآن في شهر شعبان وكاد أن يطلع لنا شهر رمضان
الذي أنزل فيه القرآن وهو ربيع المؤمنين الذين كانوا
ينتظرون هذا الشهر انتظار الطفل الجائع إلى ثدي
أمه ويستقبله استقبال الأم الحنون لولده المفقود الذي
فُقد سنين طوالا. كانوا يعدون الدقائق، وإذا أدركوا
الشهر انحدرو إلى الأعمال كما ينحدر الماء إلى الحدور.
كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا جاء شهر رجب
دعا الله بالبركة في هذين الشهرين والوصال برمضان،
وإذا اقترب زمانه يبشر أصحابه بهذا الشهر المبارك؛

فقد جاء في حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول

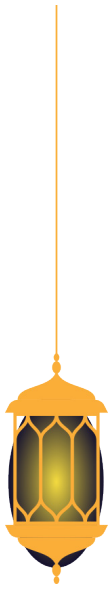

نحن الآن في شهر
شعبان وكاد أن يطلع
لنا شهر رمضان
الذي أنزل فيه
القرآن وهو ربيع
المؤمنين الذين
كانوا ينتظرون هذا
الشهر انتظار الطفل
الجائع إلى ثدي أمه
ويستقبله استقبال الأم
الحنون لولده المفقود
الذي فُقد سنين طوالا.

الله -صلى الله عليه وسلم- يبشر أصحابه: «قد
جاءكم شهررمضان،

شهر مبارك، افترض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة،
وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من
ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم» رواه الإمام أحمد في مسنده.
عن أبي هريرة -رضي الله عنه-: أن رسول الله -صلى الله عليه
وسلم- قال: «إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ، فُتِحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ
أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ». وجاء في شرح هذه الرواية:
أخبر أبو هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه
وسلم- قال: «إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت
أبواب النيران، وصفدت الشياطين»، فهذه ثلاثة أشياء تكون
في رمضان: أولاً: تفتح أبواب الجنة ترغيباً للعاملين لها بكثرة
الطاعات من صلاة وصدقة وذكر وقراءة للقرآن وغير ذلك.
ثانياً: تغلق أبواب النيران، وذلك لقلة المعاصي فيه من
المؤمنين. ثالثاً: تصفد الشياطين، يعني: المردة منهم؛ كما جاء
ذلك في رواية أخرى -أخرج هذه الرواية النسائي في سننه،
وأحمد في مسنده، والمَرَدةُ: هم أشد الشياطين عداوة وعدواناً
على بني آدم، والتصفيد معناه الغَلُّ، يعني: تُغَلُّ أيديهم
حتى لا يخلصوا إلى ما كانوا يخلصون إليه في غيره، وكل هذا
الذي أخبر به النبي -صلى الله عليه وسلم- حق أخبر به
نصحاً للأمة، وتحفيزاً لها على الخير وتحذيراً لها من الشر.
لقد عقد الله مأدبة فاخرة في هذا الشهر المبارك، ودعا
العباد إليها، علينا ألا نقضي لحظة في غفلة ولهو ولعب؛ بل
نعكف على عبادته وذكره وتمجيده؛ لأن الوقت كالسيف
إن لم تقطعه قطعك، ولا يصبر لأحد بل يمر مر السحاب.

رَحِّبْ بشَهرِ البِرِّ والإحسانِ

جُد بالقَريضِ وأعْذبِ الألحْانِ
رَحِّبْ بشَهرِ البِرِّ والإحسانِ
واعزِفْ عَلى وترِ الفُؤادِ قصيدةً
ترقى بِهَا في سِدرَةِ الرّحمانِ
واسرحْ مع الغفّارِ في ملكوتِهِ
في جنّة الفردوس والرّضوانِ
أكرمْ بشهرِ الخيرِ، حانَ قُدُومُهُ
شهرِ الهدَى وتَنزّلِ القرآنِ
شَهرِ الفضيلةِ والعبادةِ والعُلا
رَمَضانَ شهرِ الصّومِ والغُفرانِ
شهرِ القَدَاسةِ والطهارةِ والتّقى
ومكارمِ الأخلاقِ والإيمانِ
فاللهُ فضّلَ ليلةً في شهرِهِ
في قدْرِها، في مُحْكمِ الفُرقانِ
عنْ ألفِ شهرٍ طاعةً وعبادةً
فاظَفَرْ بِهَا في طَاعةِ الدّيّانِ
جبريلُ فِيها والملائكُ رحمةً
للطّائعينَ وصائِمي رمضانِ
فالصّومُ تزكيةُ النّفُوس وطُهْرُهَا
وحَصَانَةُ الأجسامِ والأبْدانِ
وهوَ السبيلُ إلى الهدايةِ والتّقى
وهوَ الطريقُ لجنّةِ الرّضْوانِ
الصّومُ لي وأنا الذي أجزي به
هذي مقالةُ خالقِ الأكوانِ
لنبيّه وعِبادِهِ كيْ ينعُمُوا
بالبرّ والتّقْوَى وبالإيمانِ
فاسلُكْ سبيلَ المؤمنينَ بصَومِهِ
وانْعَمْ بفَضلِ اللهِ والإحسانِ
صلّى الإله على النبيّ وآلِهِ
مَا هلّ شهرُ الصّومِ في رَمَضَانِ
مِنّي السلامُ عليهِ ما هَبّ الصّبَا
وتَعَاقَبَ القمَران واوَانِ

فوائد الصيام

للطالب:
دانيال درويشي

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن والاه.

أما بعد: قال الله تبارك وتعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾» بقرة.

لاشكّ أنّ كل فريضة فرضها الله سبحانه وتعالى على المسلم لا تخلو عن الحكمة والفائدة؛ لأنه يريد صلاح عبده وسعادته في الدنيا والآخرة.

وقد شرع لنا الله عز وجل العديد من العبادات من صلاة وصوم وغيرها لتقرّبنا منه ولننال جزيل الأجر والثواب، وكي نحظى بمحبّته ورضاه. وكل عبادة يقوم بها المسلم لها منزلة خاصة، ولها أجرها وثوابها عنده تعالى.

ومن العبادات التي شرعها الله عزوجل لعباده هي عبادة الصوم. وإنّه قد ييسّر الأسباب ويمهّد الطريق ويؤازر المسلم ويساعده في دخوله الجنة التي عرضها السموات والأرض.

وعن سهل -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «إنّ في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لايدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد»متفق عليه.

كما أنّه جنّة يستجنّ بها العبد من النار أيضا يدفع عنه الكثير من الأمراض الجسميّة، ويعيق عنه الأدواء البدنيّة، ويحقن إليه نشطة مؤزّرة وقوّة متدفّقة؛ وبالتالي يؤدّي إلى أنّ المسلم يقوم بأعماله بالنشاط والجدّ والحيويّة.

إني لا أقول من تلقاء نفسي؛ بل يقول ويبيّن لنا طبيب الأطبّاء النبي الكريم -صلى الله عليه وسلم- حيث روي عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: اغزوا تغنموا، صوموا تصحّوا، وسافروا تستغنوا رواه الطبراني في الأوسط.

كم حثّ النبي -صلى الله عليه وسلم- الأمة الإسلاميّة وأصحابه الكرام على الصيام، وجعل جزاء لمن صام صحّة بدنه وسلامة جسمه في حياته الدنيويّة، والآن بعد ألف وأربعمئة سنة قد أثبتت دراسات الاختصاصيّن والمتنقّبين أنّ للصوم فوائد خارقة للعادة على جسمه و بدنه. قال الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- في شرح أسرار الصوم: «للصوم تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة، والقوى الباطنة، وحميتها عن التخليط الجانب لها المواد الفاسدة التي إذا استولت عليها أفسدتها، واستفراغ المواد الرديئة المانعة له من صحتها؛ فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات؛ فهو من أكبر العون على التقوى كما قال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾».

زاد المعاد ج٢ ص١٥٢.

كما ذكرت لكم لمّا نعمّق النظر والبحث في الصوم نجد ونوقن بأنه تعالى قد جعل فيه الفوائد والحكم. وإني قمت بتنقيب هذا الموضوع، فألفيت طائلات غزيرة وثمرات كثيرة؛ والآن نقتصر ببعض منها لطول الكلام وضيق المقام.

فوائد الصيام الدينية:

التقوى: السمة المرموقة التي يعثر عليها الصائم وهي أمثل

ثمـرة يجنيهـا المؤمـن في شـهر رمضـان، ويشـوّف بهـا أعمالـه الصالحـة هـي التقـوى. ومعنـاه الصيانـة والابتعـاد عـما نهـى اللـه عنـه، والإطاعـة لمـا أمـر اللـه بـه، وأن يقـوم المسـلم بعبـادة ربـه تعـالى والامتثـال لأوامـره عـلى أكمـل وجـه و أحسـن حالـة. ولمـا كان الإنسـان ممسـكا عـن الأكل والـشرب والوقـاع وعـن كل شيء مـما يتعلـق بالقـوة الشـهوانية فيمّـم وجهـه نحـو اللـه سـبحانه وتعـالى وشـعائره من المسـاجد والمراكـز الدينية والمعاقل الإسـلامية، ويتوجـه إليهـا أكـثر بالنسـبة إلى الأشـهر الأخـرى، وطفـق يمـدّ يـده المحتاجـة إلى الغنـي الـذي بـرئ مـن الحـوج والشَـظَف، ويسـتخدم السـلاح الـذي هـو مـخ العبـادة. وإليكـم مـا قـال الصحابـة الكـرام وعلماءنـا السـلف عـن التقـوى:

«سـأل عمـر بـن الخطـاب -رضي اللـه عنـه- أبيّـا عـن التقـوى؛ فقـال: هـل أخـذت طريقـا ذا شـوك؟ قـال نعـم، قـال: فـما عملـت فيـه؟ قـال: تشـمّرت وحـذرت؛ قـال: فـذاك التقـوى.

وقـال أبـو سـليمان الـدّاراني: المتقـون الذيـن نـزع اللـه عـن قلوبهم حـبّ الشـهوات. وقـد أجمـل مـا قـال ابـن المعتزّ:

خـل الذنـوب صغيرهـا
وكبـيرهـا ذاك الـتـقـى
واصنع كـماش فـوق أر
ض الشـوك يـحـذرمـا يـرى
لا تـحـقـرنّ صغـيـرة
إنّ الـجـبال مـن الحـصى

الصبر:

الميـزة الثانيـة هـي الصبـر. الصـوم يجعـل المسـلم صبـورا وحمـولا أمـام المصائـب والكـوارث؛ فـإن المسـلم قـد يمسـك نفسـه عـن المشـتهيات والمتطلبـات التـي تشـتهيها الأنفـس وتلـذ الأعـين إلى مـا حـدّده اللـه وهـو غـروب الشـمس، ويغلـب عـلى نفسـه الأمّـارة بالسـوء، ويقلـع عـن المعـاصي والذنـوب. فـترى كثـيرا مـن النـاس المتديّنـين أنهـم يكرمـون شـهر رمضـان غايـة الإكـرام و يقومـون بأعـمال شـاقّة ترهـق النفـس وتثـير غليلهـا وتجعلهـا مسـتطيبة إلى أطعمـة شـهيّة ومـآكل لذيـذة؛ ولكـن مـع ذلـك يتركـون أهـواء النفـس ويلبّـون نـداء ربّهـم ويحقّقـون مـا أمـروا. قـال تعـالى: «يَـا أَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُـوا اصْـبِرُوا وَصَابِـرُوا وَرَابِطُـوا وَاتَّقُـوا اللَّـهَ لَعَلَّكُـمْ تُفْلِحُـونَ»آل عمـران٢٠٠.

الصوم شفيع لصاحبه:

الصيـام شـفيع لصاحبـه يـوم القيامـة، كـما في قولـه عليـه الصـلاة والسـلام: «الصيـام والقـرآن يشـفعان للعبـد يـوم القيامـة، يقـول الصيـام: أي رب! منعتـه الطعـام والشـهوة فشـفّعني فيـه، ويقـول القـرآن منعتـه النـوم بالليـل فشـفعني فيـه، قـال فيشـفعان.

وأما فوائد الصيام الصحية:

فإنـه يسـاهم في عـلاج الكثـير من أمـراض الجسـم، منهـا: ١- أمراض جهـاز الهضـم. ٢- سـوء الهضـم ٣- كذلـك عـلاج في البدانـة. ٤- ارتفـاع ضغـط الـدم ٥- خنـاق الصـدر وتصلّـب الشرايـين

إن الصيـام قـد عنـي بـه أطبـاء الكـون البارعـون وحملهـم عـلى الدراسـة والتحـري فيـه، وبعثهـم عـلى اكتشـاف الفوائـد الجسـمية منـه، وهـم أيقنـوا بأنـه يزيـل كثـيرا مـن الأمـراض الخطـيرة والفتّاكـة؛ حتـى وصـل بهـم الحـال إلى أنهـم يوصـون مرضاهـم بـه ويقدّمـون إليهـم هـذه الوصفـة المؤثـرة.

أقوال الأطباء والاختصاصيّين غير المسلمين في الصوم:

قـد كتـب الطبيـب السـويسري بارسـيلوس: «إن فائـدة الجـوع في العـلاج قـد تفـوق بمـرات اسـتخدام الأدويـة.

ويقـول الدكتـور جـان فرمـوزان أحـد العلـماء الغربيـين: «في بدايـة ممارسـة الصـوم يصـير اللسـان حاملا ويـزداد عـرق البـدن ويصـير الفـم ذا رائحـة وبـين الفينـة والأخـرى يرشـح الأنـف مـاء، وكل ذلـك أمـارة بـأن البـدن قـد طهـر طهـارة تامـة وبعـد ثلاثـة أو أربعـة أيـام تـزول الرائحـة ويحـسّ المريـض بالراحـة والرخـاء والفـرح والمـرح، إذًا تسـتريح الأعضـاء».

وقـال الدكتـور كارلـو إمريـكيّ:» الإمسـاك الـذي فرضـه الإسـلام أكبر ضمـين لصحـة الجسـم وعـلاج طويـل لهـذه الأمـراض التاليـة: التهـاب الأمعـاء، الأمـراض العينيـة، الصـداع الشـديد، المـلال، ضعـف التناسـل، أمـراض المعـدة والمعـاء، انطباعـة حسـنة للجلـد و...»

أيها السادة الأعزاء!

كل هـذه الواجبـات التـي أوجبهـا اللـه تعـالى عـلى المسـلم وأمـره بتحقيقهـا لهـا منزلـة خاصـة وآثـار أثيثـة في حياتـه. في عصرنـا هـذا عـصر التكنولوجيـا والشـبكة الدوليـة نـرى ونشـاهد عـددا غزيـرا مـن الأطبـاء غـير المسـلمين بعـد تنقيبـات وافـرة يعتقـدون بـأن الإسـلام ديـن الرأفـة والرحمـة والاعتـدال والوسـطية، ديـن تـام مـن كل جانـب مـن جوانـب حيـاة الإنسـان؛ مـن جـرّاء هـذا يعتنقـون الإسـلام ويدخلـون في ديـن اللـه أفواجـا.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فوائد الصيام الصحية:
فإنه يساهم في علاج الكثير من أمراض الجسم، منها:
١- أمراض جهاز الهضم.
٢- سوء الهضم
٣- كذلك علاج للبدانة.
٤- ارتفاع ضغط الدم
٥- خناق الصدر وتصلّب الشرايين

لا تجلس معهم

قاسم حسيني

حمدا لله وشكرا للقائمين بمجلة «الأنوار» أساتذتي وزملائي، شكرا لهم على مساعيهم ومثابرتهم وإلحاحهم على كتابة الإخوة. بارك الله فيهم وتقبل مساعيهم. فها أنا ملبيا لأمرهم أكتب بزعمي عن مشكلة عشتها وحلّها في رأيي، علّها تفيد القارئين الكرام. وهذا دأبي في أكثر المكتوبات، أكتب خواطري، والسبب التقاعس عن الكتابات العلمية التي يقوم بها أصحاب الهمم العالية.

إنّ الناس يقترفون المعاصي بالجهل تارة وبالتجاهل أخرى. إنّي أعتقد أنّ كثيرا من الناس يرتكبون المعاصي متجاهلين مبرّرين، وهذه شبكة اصطيد بها الكثير من أهل الأهواء؛ يرتكبون الذنب وعندهم تبريرات يحسبون أنفسهم أهل الخير فضلا عن أن يجعلوه مباحا.

ما أبلغ حكمة الله إذ خلق الناس مختلفين في العقول والميول والطبائع. هذا ذكي وذاك غبي، أخ في احتياج أخوه ثري، وهكذا تجد إنسانا مليئا بنعمة في حين أخوه يفقد نفس النعمة.

كل ذلك بحكمة الله سبحانه وتعالى لنقدر النعم وليتخذ بعضنا بعضا سخريا، وليتّعظ بعضنا ببعض، فكثيرا ما جعل الله تعالى في فعل أخيك ما تتذكر به أنت، وكثيرا ما يفعل الرجل أمرا لا يرى به بأسا فإذا بأخيه يشير فيه بخطأ أظهر من الشمس. إذًا فعلى المسلم الفطن أن يتعظ بغيره وأن يختار الأحسن في كل شأن بمشورة أهل التجربة والخبرة.

حملني على كتابة هذه السطور ما سمعت من إحدى أقربائي ترغب أخرى في الحضور في حفلة عرس لا يراعي أصحابه حدود الشريعة مبررة بأنّك لا تشتركين في الرقص وغير ذلك؛ بل تحضرين صلةً للرحم. رأيت أنّ نفسها اغترّت بهذا فبدأت تغرّ غيرها. فمنذ سمعت الكلام وقد قرع أذني قبل ذلك، قلت في نفسي الكلام يكاد يصير داء، فقرّرت أن أكتب كلمات حول الموضوع؛ فإن كثيرا منّا يبرّر ذنوبه بما هو حق أريد به باطل.

صلة الرحم

مذ عصر النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى الآن عاش في كل زمن من يحيد عن الصواب بما يتعرض لبعض جوانب الشريعة ويغفل جوانب أخرى. هذا ما يعبر عنه بالإفراط والتفريط؛ إفراط فيما رآه حقا وغلا فيه، وتفريطا فيما غفل عنه، أو لم يطّلع عليه.

إنّ من أحكام الشرع القويم وصل الرحم (تعاهد الأقرباء)، فالله سبحانه وتعالى جعل صلة الرحم من الأمور المهمّة في حياة المسلم، حتّى أنها ممّا يشفع للعبد يوم القيامة. ولكن ما يجب الالتفات إليه أنّ حقها ليس بأحق من حقّ ربها، وكذالك كل مأمور في الشريعة، لابد أن يُنَزّل كلّ شيء منزلته دون غلوّ وإهمال.

من الواضح أنّ الذي يحمله وصل الرحم على ارتكاب المعاصي لم يقف على أنّ صلته بربه أهمّ من صلته بأقربائه. فينحتم على كل مسلم أن يعرف مراتب الأحكام؛ فيعطي للأولى أولويتها وللثانية رتبتها وهكذا... ؛ ثم هو إمّا له علم بذالك، أو يسأل أهل الذكر.

الصلة نصرة

إنّ الصلة ليست أن تجالس قريبك وتلقاه وتقضي معه ساعات فقط. ولم يقصد الشريعة تكريم الواصل وإخزاء القاطع لذلك فحسب. أما سمعت قول الله تعالى حيث يقول: « وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ، وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» (الأنعام:٦)

إنّ واجب المسلم عندما شاهد عصيان الله أن يغيّر بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فقلبه؛ كما ورد في الحديث الشريف. ومن لم يهمّه معصية الله فيوشك أن يعذّب مع العاصين. والصلة والنصر عندئذ بالمنع والأخذ على يده كما أمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «انصر أخاك ظالما أو مظلوما». قالوا يا رسول الله هذا ننصره مظلوما، فكيف ننصره ظالما قال: «تأخذ فوق يديه» (صحيح البخاري، ٢٤٤٤) وليس له أن يجالس الذين لا يبالون حكم الله فيكون مثلهم؛ كما قال جلّ وعلا : «إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ» (النساء:١٤٠)؛ بل عليه بعد النهي أن يتركهم.

روى أبو داود في سننه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ، فَيَقُولُ: يَا هَذَا، اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ، فَإِنَّهُ لا يَحِلُّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الغَدِ، فَلا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ»، ثُمَّ قَالَ: «لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرائِيلَ عَلى لِسانِ داوُدَ وعِيسى ابْنِ مَرْيَمَ» إِلى قَوْلِهِ «فاسِقُونَ». المائدة ٧٨ إلى ٨١، ثُمَّ قَالَ: «كَلَّا واللَّهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ ولَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ، ولَتَأْخُذُنَّ عَلى يَدَيِ الظّالِمِ، ولَتَأْطُرُنَّهُ عَلى الحَقِّ أَطْرًا، ولَتَقْصُرُنَّهُ عَلى الحَقِّ قَصْرًا»

فيا أيها المسلم!

لا تقدم على شيء إلا لك به علم أو تسأل عنه من به عالم؛ لئلا تكون من الأخسرين أعمالا؛ قال تعالى: « قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا(١٠٤)». (الكهف)

أقول قولي هذا، أستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم.

تربية الأولاد في ضوء القرآن والسنة

للطالب: سعيد أحمدي

الحمدلله رب العالمين جعل الأولاد الصالحين قرة أعين لآبائهم الصالحين، بعد عصر الثورة الصناعية في الغرب وانتشار التقدم التكنولوجي وبداية عصر الاكتشافات والاختراعات تغير نمط الحياة الاجتماعية لديهم، وارتبطت العلاقات الاجتماعية بالمادة والآلة ارتباطا وثيقا، وتغيّرت القيم الأخلاقية؛ فظهرت الحاجة الماسة إلى التربية لقيادة نواصي الناشئة إلى الأهداف الجليلة والغايات الخطيرة التي يرسمها الإسلام للأجيال بكل حكمة، فلذا ازدادت أهمية التربية يوماً بعد يوم؛ لأنها شيء هامّ لإيجاد الإنسان المتكامل القادر على تحقيق الأهداف الإسلامية من عمارة الأرض والعبودية والاستخلاف.

ومسألة تربية الأولاد من أهم المسائل التي تجدر العناية بها؛ فإن الطفل أول ما يرى من الوجود منزله وذووه، فيرتسم في ذهنه أول صور الحياة، فتتشكل نفسه المرنة القابلة لكل شيء المنفعلة بكل أثر بشكل هذه البيئة الأولى. يقول الإمام الغزالي:»الطفل أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة ساذجة، وهو مائل إلى كل ما يمال به إليه؛ فإن عُوّد على الخير و عُلّمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة أبواه وكل معلم له ومؤدّب، وإن عُوّد على الشرّ وأهمل إهمال البهائم شقِي وهلك وكان الوزر في رقبة القيّم عليه والولي له».

يقول الرسول -صلي الله عليه وسلم-: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه».رواه البخاري. وأشار إلى هذا أبو العلاء بقوله:

وينشأ ناشئ الفتيان منّا

على ما كان عوّده أبوه

وما دان الفتى بحجىً ولكن

يعوّد التديّن أقربوه

عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- في قوله عزّوجل: «قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا» قال: «علّموا أولادكم وأهليكم الخير». ولذلك قرر الإمام الغزالي -رحمه الله- في رسالته: «أيها الولد»:»أن معنى التربية يشبه عمل الفلاح الّذي يقلع الشوك، ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع؛ ليحسن نباته ويكمل ريعه».

و قد أكد الإمام ابن القيّم -رحمه الله- في هذه المسئولية فقال: قال بعض أهل العلم: إن الله تعالى يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة قبل أن يسأل عن والده؛ فإنه كما أن للاب على ابنه حقا فللابن على أبيه حق. وإن من أول الإكرام للولد و البرّ به أن يحليه باسم حسن وكنية لطيفة؛ فإن للاسم الحسن موقعا في النفوس مع أول سماعه. وقال الرسول -صلى الله عليه وسلم-: «إنكم تدعون يوم القيامة بأسماءكم وأسماء آباءكم؛ فاحسنوا أسماءكم»

والثاني: حلق شعر الطفل؛ وذكر ابن إسحاق -رحمه الله- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال لفاطمة -رضي الله عنها- حينما ولدت الحسن: «يا فاطمة! احلقي رأسه وتصدّقي بزنة شعره فضّة». فوزنته فكان وزنه درهما أو بعض درهم.(رواه الترمذي).

والثالث: الختان؛ ومن شدة تأكيد الإسلام على الختان أنه -صلى الله عليه وسلم- إذا أسلم رجل ولم يكن مختونا أمره بالختان والغسل، وروى أحمد عن شداد بن أوس -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء».

ونستلهم هذه الأساليب التربوية مما يصل إليه الفكر والاستنباط من خلال الأحاديث ومعاملة الرسول -صلى الله عليه وسلم- مع الاطفال، والأساس الأول في تربية الولد هو القدوة الحسنة، وللقدوة الحسنة أثر كبير في نفس الطفل؛ إذ كثيرا

ما يقلد الطفل والديه؛ فإنهم يقتدون بهم، فإن وجدوا أبويهم صادقين سينشئون على الصدق، وهكذا في بقية الأمور، ويأمر الرسول -صلى الله عليه وسلم- الوالدين أن يكونا قدوة حسنة في خلق الصدق أثناء تعاملهم مع الأطفال وقال النبى -صلى الله عليه وسلم-: «من قال لصبيّ تعال هاك! ثم لم يعطه فهي كذبة»(رواه أحمد). والأساس الثاني: تحيّن الوقت المناسب للتوجيه؛ إن اختيار الوقت المناسب المؤثر في الطفل يسهل ويقلل من جهد العمليّة التربوية؛ فإن القلوب تقبل وتدبر، فإن استطاع الوالدان زمن إقبال قلوب أطفالهم توجيهم فإنهم سيحققون فوزا كبيرا بعملهم التربويّ، وقد قدّم النبي -صلى الله عليه وسلم- لنا ثلاثة أوقات أساسية في توجيه الطفل، فما هذه الأوقات؟

الأول: النزهة والطريق والمركب، فحديث ابن عباس -رضي الله عنه- قال:»كنت خلف النبي -صلى الله عليه وسلم- يوما فقال: «ياغلام! احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله»(رواه الترمذي)

وهذا الحديث يدل على أن هذه التوجيهات النبوية كانت في الطريق وهما يسيران إما مشيا على الأقدام أو سيرا على الدابة

وإنما في الهواء الطلق حيث نفس الطفل أشد استعداد للتلقي وأقوى على قبول النصائح والتوجيهات، والثاني: وقت الطعام؛ فإن في هذا الوقت يحاول الطفل أن ينطلق على سجيته، فيتصرف أفعالا تخل بالآداب أحيانا، وإذا لم يجلس الوالدان معه باستمرار فالطفل سيبقى في براثن العادات السيئة المنفّرة، وأيضًا روى البخاري ومسلم عن عمر بن أبي سلمة -رضي الله عنه- أنه قال:»كنت غلاما في حجر النبي -صلى الله عليه وسلم- فكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «ياغلام سمّ الله تعالى وكل بيمينك و كل مما يليك» فما زالت طعمتي بعد.

والثالث وقت مرض الطفل: المرض يلين قلوب الكفار القساة، فما بالك بالأطفال الذين ما زالت قلوبهم عامرة باللين وحسن الاستقبال؟! فالطفل عندما يمرض يجمع بين سجيتين عظمتين في تصحيح أخطائه وسلوكه وحتى معتقده، وقد وجّهنا إلى هذا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فزار طفلا يهوديًا مريضًا ودعاه إلى الإسلام وكانت الزيارة مفتاح عهد النور لذلك الطفل، أرأيت كيف كان هذه الطفل يخدم النبي -صلى الله عليه وسلم- ولم يدعه إلى الإسلام بعد، إلى أن وجد النبي -صلى الله عليه وسلم- الوقت المناسب لدعوته، فأتاه وعاده ودعاه إلى الإسلام.

والأساس الثالث: العدل والمساواة بين الأطفال: وهذا ركن ثالث مخاطب به الوالدان للالتزام به، ليستطيعا تحقيق ما يريدان، ألا وهو العدل والمساواة بين الأطفال إذ لهما كبير الأثر في مسارعة الأبناء إلى البرّ والطاعة، والله تعالى ذكر قصة إخوة يوسف -عليه السلام- في القرآن الكريم حينما شعروا أن أباهم يحبّ يوسف أكثر منهم، فرموا أباهم بالخطأ: «إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ»، فكانت نتيجة قناعتهم هذه أن يقدموا على عمل مشين في حق الأخوّة والأبوّة فقالوا: «اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ»؛ فصار عدم المساواة في حبّ الأولاد مؤدّيا إلى الخلاف والتنازع بينهم، وأيضًا أكّد النبي -صلى الله عليه وسلم- على المساواة والعدل بين الأولاد؛ حتى قال في حديث عن النعمان بن بشير -رضي الله عنه- ثلاث مرات: «اعدلوا في أولادكم، اعدلوا في أولادكم، اعدلوا في أولادكم»(رواه أحمد وأبو داود)

ومن شدّة يقظة السلف الصالح أنهم كانوا يعدلون بين أبناءهم حتى في القُبلة استجابة لنداء رسول الله -صلى الله عليه وسلم- و تنفيذا لأمره.

وعلى الوالد أن يفكّر في تأديب طفله منذ الصغر؛ فإذا تجد أية وسيلة مع الطفل فهذا يعني أن الطفل بحاجة إلى علاج بالتأديب لكي يحسّ بأن الأمر جدّ ولاهزل فيه، فيعرف قيمة الحنان والعطوفة التي تدفقت عليه من والديه قبل التأديب. وإن التأديب ليس عملا انتقاميا من الطفل، وإنما هدفه تربوّي، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «لأن يؤدّب الأب ابنه خير له من أن يتصدق بصاع» وقال أحد الفلاسفة: «إن أكثر الناس إنما أتوا في سوء مذاهبهم من عادات الصبا، إذا لم يتقدمهم تأديب وإصلاح أخلاقهم وحسن سياستهم». و قال الشاعر:

وإن من ادّبته في زمن الصبا

كالعود يُسقى الماء في غرسه

حتى تراه مورقا ناضرا

بعد الذي أبصرت من يبسه

والشيخ لايترك أخلاقه

حتى يوارى فى ثرى رمسه

إذا ارعوى عاد إلى جهله

كذا الضنا عاد إلى نكسه

وبعد تأديب الطفل ينبغي للوليّ أن يبدأ بتعليمه القرآن منذ صغره وذلك ليتوجه إلى اعتقاد أن الله تعالى هو ربّه، وأن هذا كلامه تعالى، وعن علي كرّم الله وجه أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال: حبّ نبيكم وحبّ آل بيته وتلاوة القرآن، فإن حملة القرآن في ظل عرش الله يوم لا ظلّ إلّا ظلّه مع أنبيائه و أصفيائه»(رواه الطبراني)

وأهم المسائل التي ليقم الأولياء بإجرائها هي مسئلة الصلاة وتوجيه هذا الأمر للطفل بأن يقف الوالد معه في الصلاة وذلك في بداية وعيه و إدراكه يمينه من شماله. وقد عيّن الرسول -صلى الله عليه وسلم- سنّ تعليم الطفل الصلاة فقال: «مروا الصبيّ بالصلاة إذا بلغ سبع سنين، فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها»(رواه أبو داود). وإنّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لَيبشّر الأطفال الذين نشأوا على عبادة الله عزّ وجل بشارة عظيمة، فقال -صلى الله عليه وسلم-: «ما من ناشئ ينشأ في العبادة حتى يدركه الموت إلا أعطاه أجر تسعة و تسعين صدّيقا»(رواه الطبراني)

وهناك شيء آخر يرفع درجة الإنسان على الخلائق حتى الملائكة وهو العلم، فيجب على الوالد أن يغرس حبّ العلم وآدابه في الطّفل؛ فلأجل هذا وضع النبي -صلى الله عليه وسلم- قاعدة أصيلة بكسب مرحلة الطفولة في التعلّم وطلب العلم تناقلتها الأجيال كلها جيلا بعد جيل وهي: «طلب العلم فريضه على كل مسلم «. و قال الشاعر:

أراني نسيت ما تعلمت في الكبر

ولست بناس ماتعلّمت في الصغر

وما العلم إلاّ بالتعلّم في الصبا

وما الحلم إلاّ بالتحلّم في الكبر

وما العلم بعد الشيب إلّا تعسّف

غذا كل قلب المرء والسمع والبصر

ولو فُلق القلب المعلَّم في الصبا

لأبصر فيه العلم كالنقش في الحجر

ومما فصّلنا القول عنه يتبيّن لنا أنّ للإسلام منهجا كاملا وطريقة متميّزة وأسلوبا فريدا في إعداد الولد الايمانيّ والخلقيّ وفي التربية الجسمية والاجتماعية ليكون في المستقبل إنسانا صالحا متوازنا سويّا ذا عقيدة وخلق ورسالة ينهض بأعباء ويضطلع بمسئوليات وينتهي في الخاتمة إلى غاية الغايات، ألا و هي رضوان الله عزّ وجل والفوز بالجنة والنجاة من النار.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

.....

المنابع:

١- كتاب تربية الأولاد في الإسلام لعبدالله ناصح علوان

٢-كتاب التربية النبوية للطفل لمحمد نور بن عبدالحفيظ سويد

٣-المنهج التربوي الإسلامي لبشارمحمدرضا القهوجي

الضالة المنشودة

للطالب: عبد الله ملا نيازي

يحكم في زماننا هذا حكام كثيرون، وكل منهم يسود بلدا أو منطقة ويدير أناسا. قد يخطر ببالي وأسأل نفسي: لمَ لا أسمع مدح ملك من الملوك في أي بلد؟ ولمَ تجلب هذه السيادة والسلطة لهم سوء السمعة وتخلق لهم الفضيحة؟ والناس يسيئون بملوكهم الظن.

لا غرو أن جواب هذا السوال واحد فقط وهي الضالة المنشودة للحكام في زماننا وهي العدالة. الملوك في زماننا يريدون أن يفرضوا سلطتهم على الآخرين وعلى رأس هذا الفكر القوى العظمى في العالم لا سيما عملاق عصرنا الولايات المتحدة الإمريكية، ولا يراعون حقوق الشعب المضطهد الكادح، وينتهكون حقوق الآخرين ويعاملون الرعية بالعنف والاضطهاد. نعم، هذه أسباب هذا الوضع الراهن. لا يُتوقع من هذه الملوك شيء كبيرا وإلام الانتظار؟ قد فقدنا أملنا، واستعادة ما فقدناه محال.

نحن في حاجة ماسة إلى العدالة،التي تبعث الرضا في النفس، وتشفي قلوبنا، ويرنو إليها جميع الشعوب.

بعدإمعان النظر في هذا البحث علينا أن نتصفح تاريخنا القديم. إن تاريخ بلادنا الإسلامية حافل بالمفاخر والأمجاد، وإذا نظرنا نظرة تاريخية إلى ملوك المسلمين من بداية نشأة الإسلام إلى الآن نرى وندرك فلاح الأمة وسعادتها في عدلها، وتقواها، وصدقها بينهم في تلك القرون التي قال عنها النبي ـ صلى الله عليه و سلّم ـ: «خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم».

أرى من المناسب ومن المهم ايضا أن آتي بنبذة تاريخية من بطل من أبطال المسلمين الذي قد رضي بعدالته وصدقه كل مومن وكافر، ولا يبغضه إلاّ منافقٍ، وكان يشار إليه بالبنان في عدله بين الناس، ولا يذكره عاقل إلاّ بالخيرِ، وهو عمربن الخطاب -رضي الله عنه- .

والله إن عالمنا الإسلامية يحتاج إليه احتياجا شديدا.و ما أقول في عمر؟! لساني قاصر عن وصف هذه الشخصيّة العدل الذي عزّ الإسلام به في وقته وساد، حطّم القوى العظمى الظالمة، وجاء بالخير والمساواة والعدل.

غامر بحياته و عارض نفسه للخطر لأجل الإسلام والمسلمين وأن تكون كلمة الله هي العليا.كان -رضي الله عنه- لا يخاف إلا الله، يأخذ حق المظلوم ويعاقب الظالم، وكان ليّنا حسن الخلق للضعفاء والمظلومين، شديدا على الظالمين، ولا يأذن بهتك حرمات الله. عاش فقيرا، وحكم عادلا، ومات فقيرا. لم يكن مبذّرا ولا مبتزّا في أموال الناس كملوك عصرنا. أرحمُ المسلمين بالمسلمين وأشدّهم على الكفار والمنافقين. رجل تسنّم ذروة المعالي، وأباد قوّات العدوّ بقدرته الإيمانيّة الراسخة. لم يكن لأعداءه الصمود أمامه، ويفرّ منه شياطين الجن والإنس.

هذا عمر!

يا أيها الحاكم الظالم! لو تريد أن تنام آمنا دون حارس ولا حجّاب عش كعمر بن الخطاب، واجعله قدوة لك وهذه ضالّتك المنشودة في هذا الزمان التي تخرجك من القلق و الحزن، وها هي العدالة.

وصايا لأهل القرآن

للطالب: عبد الماجد إسلامي

بسم الله الرحمان الرحيم. الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

يقول الله تعالى في كتابه الكريم: «فاقرأوا ما تيسر منه». فلنعط لكلام الله العظيم من أوقاتنا، بل جل أوقاتنا؛ فكلام الله غالٍ عزيز، ولنعطه وقتًا للتلاوة ولو صفحة واحدة في بداية كل يوم؛ ففيها من البركة والتوفيق ما الله بها عليم، ولنعطه وقتًا للحفظ؛ فهو في الأصل من يحفظنا بعد الله، ونعم حافظًا القرآن، ولنعطه وقتًا للتفسير وفهم المعاني؛ ففيها مفتاح التدبر والخشوع؛ فلن تفهم رسالة من غير ترجمتها، ولا فهم معانيها، وما ترمي إليه، أو مناسبة وقوعها وأهدافها، ولنخصه بوقت لتعليم الصغار والشيوخ الأميين؛ فقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه». رواه البخاري.

ولنجعل له وقتًا في آخر الليل؛ فهي الناشئة التي هي أشد وطئًا وأقوم قيلا؛ ففيه تثبيت الحفظ، وإدراك المعنى ونور الحياء، وفيها الرفعة، وفيها ضياء الوجه وإجابة الدعوات وتحقيق الأماني، وفيها مناجاة الرحمان الرحيم.

ولنحذر يا أحبائي من تلبيس إبليس، ولنحذر أنفسنا التي توهمنا بأن وقتنا ضيق، وأن أعمالنا أهم، ومشاغلنا أولى! حذار حذار من ضياع العمر فيما لا يعود علينا بالنفع والبركة.

وفي القرآن الكريم وتلاوته وحفظه وتدبر معانيه حلاوة. لايستلذ بها إلا من طهر قلبه وأعطى للقران وقتا.

جعلنا الله و إياكم من أهل اللقران الذين هم أهل الله وخاصته، ومن الذين هم مع السفرة الكرام البررة، و آتانا الله في الدنيا حسنة، ووقانا عذاب النار، ورزقنا الله الفردوس بلا حساب ولاعقاب، وأكرمنا بمرافقة حبيبه -صلى الله عليه وسلم-، ولا حرمنا الله لذة النظر إلى وجهه الكريم.

هذا والله أجل وأعلى وأعلم إن أصبت فمن الله وحده، وإن وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان الرجيم.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك أتوب إليك.

أخوكم عبدالماجد بن موسى يرجو من الله أن تستفيدوا من هذه المقالة.

الملابس لها رسالة

عبدالمجيد خداداديان

كان «زهير بن أبي سلمى» الشاعر الحكيم الذي عاش في الجاهلية وما عاشت الجاهلية فيه يَمدح مِن هو من أجود العرب «هرم بن سنان»، فحلف هرم هذا أن لا يمدحه زهير إلا أعطاه، ولا يسأله إلا أعطاه، ولا يسلّم عليه إلا أعطاه؛ ولكن زهيراً مع كل ذلك قال في مدحه:

سألنا فأعطيتم وعدنا فعدتم

ومن أكثرَ التسآلَ يوماً سيُحرَمِ

نعم! هذا شأن كل باب من أبواب الدنيا، فإنه سيُغلَق في يوم من الأيام أو ليلة من الليالي أمام طارقه؛ مهما كرُم صاحبه وكثُر رماده وجبُن كلبه؛ إما لنفاد جوده، أو لنفاد ما عنده، أو لخوف نفاده؛ ولكن هناك باباً آخر يختلف عن كل باب، هو باب لن يخيب من دقّه، ولن يخسر من أتاه، ولن ينفد ما خلفه، ولن يملّ صاحبه من كثرة الطرّاق، ولن يعجز عن كثرة مطالبهم، هو مورد عذب لن يظمأ وارده ومصدر طاقة لن يكبو من اتصلت به أسلاكه، ألا هو باب الله، وهكذا كل باب ينتهي وينتمي إليه، والقرآن باب الله وشريعة الله بابه، والمسجد والقبلة والسماء وليلة القدر والدعاء من أبوابه، والقرآن من أعجبها وأعظمها، باب فريد ووحيد فردانيةَ قائله، ووحدانية مُنزله، كلام لا ككلام، كتاب ما زاده مرُّ العصور وكرُّ الدهور وتقدمُ العلوم وتنوع الطبائع واختلاف الأذواق وتشعب الفنون إلا جدّةً وطرافةً وجمالاً وفضلاً وعظمةً في النفوس ومكانةً في القلوب وحظّاً للنفوس وارتياحاً واطمئناناً للأفئدة وقناعةً ومتعةً للأخلاد، كتاب تناوله فقهاء اللغة فزوّدهم وعلمهم وأتحفهم، وأهل الموسيقى فلاطف أسماعهم ولعب بأوتار قلوبهم، وأهل البلاغة فأغنى كتبهم، والعرفاء فأحرقهم وأثلجهم وأوقفهم وحرّكهم وطمأنهم وأقلقهم؛ ولكنه في كل حال أسعدهم، انقطع إليه العلماء فزيّنهم وأعلاهم وأنطقهم، وماهَنَه علماء النفس والاجتماع فحلّ عقدهم ووسّع آفاقهم ورسم لهم مناهج وأصّل لهم أصولهم وقواعدهم، هو بحر بلا شاطئ ومَنجم بلا نفاد وجمال فوق الجمال، لن تحيط به الحدود، ولن تُدرَك أغواره وان تُنال أعاليه، إنه أنطق أشدّ أعداءه فقال في وصفه: «والله، إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يُعلى، وإنه ليحطّم ما تحته»(١)

ولو رحت أستقصي مشاعري وحظوظي من هذا الكتاب لبالغتُ وما بلّغتُ، وأطلتُ وما أكملتُ، وأمللتُ وما مللتُ، وأقنعتُ وما قنعتُ، فأقتصر بهذا اليسير وأدعو كل منصف سليم الذوق أن يأخذ حصته منه على سعة وعاءه، وترامي أطرافه، وعظم مراميه.

إنني رغم بضاعتي المزجاة كلما أردتُّ أن أجري القلم في موضوع مما تصدى له القرآن دار رأسي وحُيّرت في الاختيار وكنت كمن دخل متحفاً فيه من التحف والأعاجيب والآثار والنوادر ما لا تغنيك إحداها عن أخواتها، ولا يُملّ التحديق فيها، ويستحيل الاستمتاع بجميعها؛ فآخذ منها مضطراً لؤلؤة واحدة وأبدأ بتقليبها ظهراً لبطن، وآخذ حظّ بصري وقلبي حسب نصيبي من الاستطاعة والظرافة والإمعان والتركيز؛ ثم يحبّب إليّ أن أبثّ هذا الشعور الفذّ، وهذه المتعة التي لا تدانيه متعة، وهذا الارتياح الذي أخذ يتمشّى في أوصالي.

هذا شأني معكم اليوم، أريد أن أعرض عليكم اليوم جوهرة من جواهر القرآن؛ ولست معاذ الله أعلو بها؛ بل أعلو بها. كانت تتناهى إلى سمعي أسئلة عن الحجاب: على الرجال أن يغضوا من أبصارهم ويحفظوا قلوبهم وفروجهم...، الحجاب ليس يعني العفاف، فالحجاب شيء والعفة شيء...، الحجاب ليس مقياساً قويماً للطهارة أو الدعارة...، التقصير والتفريط يعود إلى الرجال الذين يمدون أبصارهم إلى محاسن النساء، ويترصدونهن في فوّهات الطرق...، هلمّ جرّاً ما إلى ذلك من زخارف القول التي تدور على ألسنة العامة، وتعبث بعقولهم وتغسل أدمغتهم وليست مع الأسف تسير على ناموس مطرد، حتى فاجأتني آية الحجاب(٢)، فإذا بها تدمغ كل ما أثير من الشبهات في بضع كلمات، وتُهدي فوق ذلك معاني عظاماً للنفوس والقلوب المضطربة فتجعلها مطمئنة.

لما رأيت آية الحجاب أعجبت بها أيما إعجاب واقتنعت

وانشرح صدري لما حوى من حكم وتبيين ومنهجية وعمق وشمول ودقة وظرافة وباثولوجيا وغير ذلك مما لا يسعه الوصف.

لما تلوت قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا» أثلج صدري وبلّ غليلي وشفى عِيّي وأساغ غصّتي، وما أعجب وما أوسع ما تضمنته هذه الكلمات القليلة من المعاني الجمّة والإشارات الخفية الدقيقة المتقَنة التي لا يتفطن لها إلا الظرفاء المحنّكون.

تعالوا نبدأ بدراسة هذه الآية كلمة كلمة ونستنبط قسطا يسيرا من معانيه.

يبدأ الله الحكيم الآية بقوله: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ...» ثم يأمره بالقيام بما تضمنت الآية من الأحكام، وفي الابتداء بمخاطبة النبي -صلى الله عليه وسلم- حكمة خفية وإرشاد لطيف يظهر للمتأمل، وهو أن على الداعي أن يبتدئ بتطبيق دعوته على نفسه، -أول ما يبدأ-. فأول خطوة يتخذها الداعي إلى التغيير هو تغيير النفس، ولا يتصور تغيير بيئة بأكملها قبل تحول في النفوس، كيف وكل نفس لبنة في بنيان المجتمع، ومن المستحيل سلامة عضو من الأعضاء دون سلامة كل خلية من الخلايا، وهل السرطان المرض الكبير الفتاك الذي تنبو عنه الأسماع إلا حدوث خلل -ربما يكون بسيطًا- يجعل الخلايا السليمة خلايا سرطانية؟! وكذلك كل بيئة ومجتمع. يقول تبارك وتعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ» رعد١١. ونعم ما يُقال: «كن أنت التغيير الذي تريد أن تراه في العالم!»، فهل يعقل بالله عليكم إصلاح مجتمع قبل إصلاح نفوسه؟!

إن أكبر نصيحة يمكن أن تهدى إلى كل من ينشط في مجال الدعوة هو أن يقال له «احذر أيها الداعي أن يجد المدعوون في حياتك ما يخالف دعوتك»، وقد رمز إلى هذه النكتة في الآية بالابتداء بمخاطبة النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو أسوة الدعاة وأكبر داع إلى الخير أظلته الخضراء وأقلته الغبراء.

سمعت قصة يحلو لي ذكرها هنا: كان يشاهد الأب التلفاز فجاءه الابن وقال: يا أبي! أريد منك أن تلعب معي! كان الأب متعبًا فرأى أن يُعلّل الابن بشيء عله يستريح ساعة ثم يلعب معه، فرأى في الصحيفة خريطة العالم، فأخرجها بالمقراض ثم مزقها كل ممزق ثم نثرها بين يديه وقال: سألعب معك بعدما قمت بالربط بين هذه القطع ورددتها إلى حافرتها. ثم عاد يواصل مشاهدة التلفاز زاعما أن القطع ستلهي الابن لساعات؛ فإن الابن لا يعرف شيئا عن خريطة العالم؛ فلم يلبث هنيهة حتى سمع صوت الطفل يصرخ: ها أنا قد أصلحتها! فدُهش الأب ونظر فإذا بالخريطة كأولها، فأخذها وفكر هنيهة، فلم يتفطن إلى الطريقة التي استعملها الطفل فسألها معجَبا بذكاءه: كيف استطعت أن تنضّد قطع هذه الخريطة الممزقة وتعيدها إلى ما كانت؟! فأجاب الطفل بدلال وزهو: أنا لم أهتم بالخريطة وإنما قمت بإصلاح الإنسان؛ تعجب الأب! أي إنسان؟! فقلّب الورقة فإذا في خلفها صورة إنسان قائم على قدم وساق. حينئذ علم الأب أن العالم لا يصلُح إلا بعدما أُصلح الإنسان، وجُمع شتاته، وقُوّم عوجه، وجُعل الاعتناء بشأنه في رأس القائمة.

نعود الآن إلى الآية ونرى أن مخاطبة النبي -صلى الله عليه وسلم- يليها قولُه: «قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ...»

إن في تقديم الأزواج والبنات كذلك إشارات: أولها: الإشارة إلى فضلهن وشرفهن. ذكر ابن كثير في تفسيره: «يقول تعالى آمرا رسوله صلى الله عليه وسلم تسليما، أن يأمر النساء المؤمنات -خاصة أزواجه وبناته- لشرفهن».(٣) فهذا الحكم الذي سيُذكر في الآية ليس كغريمة تُفرض على عامة المسلمين فرضًا؛ ثم يُسامح خاصتهم فيها كما نشاهد ذلك في معظم الحكومات الحالية؛ بل كلها أن كثيرًا من الأحكام لعامة أهل البلاد وليس لخاصتهم، وللخاصة خيارات وميزات ليست للعامة؛ بل الأحكام في الشريعة الإسلامية مناهج للكمال وطريق سُوَّى -للتقرب من الله- يستوي بالنسبة إليه كل مسلم؛ بل كل إنسان، لا يُختص به أحد قبل أحد، فالأكرم في الإسلام هو الأشد تعهدًا واهتمامًا بهذه الأحكام كائنا من كان. «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ « تحريم.

فامرأة نبيين -عليهما السلام- تدخلان النار ولا تنفعهما أقوى نسبة -النسبة الزوجية- إذ فاتتهما النسبة والاتصال بمعايير السعادة عند الله التي فُصّلت في الشرائع الإلهية تفصيلا؛ ومن ثم امرأة فرعون لم تضرها النسبة إلى فرعون أكبر طاغوت على مر العصور.

فأمرُ الله نبيَّه بإيصال هذا الحكم أولا إلى زوجاته وبناته يدل على شرفهن من جانب، إذ الأحكام الشرعية هدية تُهدى وليست غريمة تُفرض؛ فأولى الناس به أقرب الناس إلى المُهدي، ومن جانب آخر لقد بدأ تعالى بنساء الرسول -صلى الله عليه وسلم- وبناته في الأمر بالحجاب الشرعي ليكنّ قدوة لسائر النساء، والدعوة لا تثمر إلا إذا بدأ الداعي بها في نفسه وأهله وبيته، ومن أحق من بيت االنبوة بالتمسك بهذا التوجيه الرشيد؟!(٤)

قال تعالى: «وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا» طه١٣٢، وقال: «قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا» تحريم٦.

ثم نكتة لطيفة أخرى أنا أراها كامنة في الآية وهي أن تقديم النساء على البنات تشير إلى رفعة مكانة الأمومة وأولويتها بالاعتناء وبالطبع فضلِها في التأثير والمساهمة في عملية إصلاح المجتمع.

ثم أردف تعالى ذكرَ الأزواج والبنات بذكر نساء المؤمنين فقال: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ...»

والحكمة التي تظهر لي في هذا النسق هي إشراك نساء المؤمنين في هذا الشرف العظيم أولًا، الشرف الذي يراه المتعصبون، ضيّقوا الآفاق، المتفيهقون من غير إمعان وإشراف حرجًا وتخلفًا وثقلًا جُشّمه المسلمون تجشيما. والنكتة الثانية -التي استنبطتها في الآية وهي نكتة لطيفة وجليلة في آن- هي أن كلمة «نساء» أضيفت إلى «المؤمنين»، وهذه الإضافة تدل على أن المخاطب

لهذا الحكم السديد نساء المؤمنين عامة...، أعيد مرة أخرى: «نساء المؤمنين»، فنساء المؤمنين هن المخاطبات للآية، والمؤمن حقا لا يتزوج إلا مسلمة مؤمنة؛ وإن تزوج من غير مسلمة لم يسمح إيمانه وما رضيت غيرته أن تتنازل عن قيم دينية يرى فيها رضا الرب وفوز الأبد، فالعجب كل العجب ممن يجهدون أنفسهم لإقناع نساء غير مؤمنات، تحت رجال غير مؤمنين، في بيئة غير مسلمة ولا مؤمنة بأن الحجاب أمر ضروري لصيانة قيم المجتمع، وهم يُنكرون مصدر هذه القيم، فهم في واد والمسلمون في واد، وهذا كأن تقول لمن ينكر نسبته إلى أبيه: التزم هذه النصيحة من أبيك المشفق عليك وتيقّن أنها ستنفعك في حياتك! فكيف تتمنى أن يلقي إليك بالا ويعيرك سمعًا وهو ينكر أبوة أبيه، أو أن توصي عامة الناس بما يوصى به الرياضيون الممتازون، فتقول لهم: لا بد على الأقل من الممارسة ساعتين يوميا للاستعداد البدني والتخلص من الدسوم الضارّة وتفكيك العضلات.

فهذه الوصفة للرياضيين الممتازين ومن الطبيعي أن لا ينقاد لها عامة الناس، ولا يتخذه أصحاب اللحوم والشحوم كطريقة لحياتهم، ويأبوا العمل بها ويعتبروها حرجا ثقيلا.

وكذلك هذه الوصفة المهداة في الآية ترحب بها النسوة المؤمنات اللاتي تربين في بيئة مؤمنة، وتأباها غيرهن أكثر ما يكون؛ ولكن إنكار فضلها وتأثيرها من قبل أي شخص لا ينقص من شأنها شيئا، فكلام الله يعلو ولا يُعلى عليه.

ثم يبين الله الوصفة ويقول: «يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ».

أمر الله نبيه بأن يأمر أزواجه وبناته ونساء المؤمنين بإدناء الجلابيب عليهن، وقد قيل في تفسير ذلك أقوال عديدة، فأعرض عليكم بعضها: أن يغطين أجسامهن ورؤوسهن وجيوبهن - وهي فتحة الصدر من الثوب - بجلباب كاس(٥)، وقيل: هو ثوب أصغر من الرداء وأكبر من الخمار والقِناع (٦)، وقالوا: يغطين وجوههن وأبدانهن بملاحفهن إذا برزن لحاجة ، و {من} للتبعيض فإن المرأة ترخي بعض جلبابها وتتلفع ببعض(٧)، ولكن القرطبي يقول الفصل: وهو ثوب أكبر من الخمار، وروي عن ابن عباس وابن مسعود أنه الرداء، وقد قيل: إنه القناع، والصحيح أنه الثوب الذي يستر جميع البدن(٨)، وكذلك يقول الصابوني(٩)، ولا نريد أن نسهب في تفسير نوع الحجاب أكثر من هذا، فنكتفي بهذا الوجيز الكافي.

ولكن تبقى نكتة أرى من اللازم الإشارة إليها؛ فبها تظهر أن الأحكام في الإسلام تُشرّع بإحكام وتلاحَظ في تشريعها جميع الجوانب، وهي أن الله سبحانه وتعالى نهى في الآية السابقة عن إيذاء المؤمنات ثم أتبع النهي عن أذى المؤمنات بأن أمرهن باتقاء أسباب الأذى؛ لأن من شأن المطالب السعيَ في تذليل وسائلها كما قال تعالى: « وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا» الإسراء١٩. وقال أبو الأسود:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها

إن السفينة لا تجري على اليبس

وهذا يرجع إلى قاعدة التعاون على إقامة المصالح وإماتة المفاسد، وفي الحديث: «رحم الله والداً أعان ولده على بره». وهذا الحديث ضعيف السند لكنه صحيح المعنى؛ لأن بر الوالدين مطلوب، فالإعانة عليه إعانة على وجود المعروف والخير(١٠).

ثم بعد ذلك يبين الله تبارك وتعالى الحكمة الأصلية والأساس لتشريع هذا الحكم الدقيق الجميل فيقول: « ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ»

الله أكبر! ما أجمل هذا التعليل الدقيق العميق وهذا الباثولوجيا!

فالحجاب كما وصفه الله تعالى شعار المرأة المسلمة المؤمنة، وزيها الخاص الذي بها تُعرف وبها تُميّز عن غيرها؛ فلباس المرأة ترسل رسالة إلى أدمغة الناظرين، ولا شك أن هذه الرسالة تستلمها أدمغتهم كاملة واضحة مفصلة؛ وكيفية وهيئة لباسها هي التي تعين تفاصيل هذه الرسالة، فإذا تكونت صورة المرأة -التي تبعث بملابسها كوامن النفوس- على شبكية العين، ثم انعكست على الدماغ وتمت معالجة الصورة المستلمة ورسالتها التي تحملها أرسلت الخلايا الدماغية الرسالة التي تحمل الرد المنشود لهذه الصورة المستلمة، فإن كان الناظر مؤمنا متقيا يخاف الله غض من أبصاره وأطرق رأسه ثم حوقل واستغفر واسترجع، وإن كان غافلا أو فاسقا أحدّ البصر وحدّق النظر في المرأة وأخذ منها حظ بصره ونفسه فضل وأضل وضلت وأضلت.

وإن كانت المرأة مؤمنة متقية ملتزمة أدنت عليها من جلبابها أرسلت إلى عيون الناظرين رسالة أخرى تختلف تماما: أنا امرأة مؤمنة، من أسرة مؤمنة تغار علي، أتبع الحمية وأبعد نفسي عن مظان المرض والفساد، هذه الملابس الواسعة تعبر عن مستوى حميتي وتصلبي وحمية أسرتي وتصلبها، أنا أعز من أن أجعل نفسي فريسة لعيونكم، خلوا طريقي، أنا محتشمة؛ ولا ريب أن الرسالة تستلمها الأدمغة وتحمل أصحابها على الخضوع أمام أحكامها الصارمة الفخمة.

فهل من المعقول أن يلبس الضابط أو الشرطي كسوة المتسولين ثم يجر رجله وذيله في الشارع جرّا، تاركا مسدسه، في إحدى يديها ركوة وفي الأخرى عصا، وعليه خلقان بالية وخرق ممزقة ثم يوقف سيارة ويقبض على مجرم، وإن عارضه أو خاصمه أو شتمه أحد ألقى القبض عليه بحجة أنه لم يحترم موظف الحكومة ومجري الدستور، والإساءة إليه إساءة إلى الحكومة والنظام والأمن؟!

وكذلك المرأة السافرة ليس لها أن تتمنى أن تحظى باحترام وضمانة تحظى بها المرأة المتحجبة المتقنعة، وأن تكون صاحبة الصون مثلها.

فالحجاب من أدنى حده إلى أقصى حده يرسل رسالة توافق كمّه وكيفه؛ فالمرأة التي لبست التنورة القصيرة ووسروالا رقيقا يصف ما تحته، وبلوزة صغيرة لا تستر ذراعيها، ولم تستر رأسها وتركت ضفائرها تتأرجح من جانب إلى جانب تلهم الناظرين أنها لا ترى بأسا في أن يحدقوا النظر فيها؛ بل تستمتع بأنظارهم وإعجابهم، فكل شيء يُعرض لا يُعرض إلا

ليلفت الأنظار وتأسر القلوب، وإن لم يكن كذلك فلم تبذل الجهود في تجميل المباني والسيارات والأطعمة، وليس الإنسان خارجا عن نطاق هذا القانون المطرد الذي لا ينكره عاقل!

كنت يوما في حافلة حافلة بصنوف الناس، فرأيت بينهم شابة أظهرت جمالها على الناس ولم تستر منه إلا البعض. فرأيت أن أحد السائقين للحافلة كلما سنحت له فرصة تقرب منها وأظهر أنه يريد إكرامها بالماء أو الشاي أو شكولاتة أو قهوة -هداك الله! لم لا تكرم شابا ممتلئا ضخما يكتب هذا المقال أو لم لا تكرم الشيوخ والعجائز وهم أحق ببرك والله؟!- وكانت الفتاة أبية قوية تطردها في كل مرة بأشد من المرة السابقة، ولكن السائق الشاب أبيّ كذلك يأبى إلا الوصال؛ وكيف يمكن لجائع شره يشاهد الطعام، ويستشم عبقه، وتعبث بعقله ألوانه وجودته أن يمتلك نفسه ويكبح شهوته الجامحة؟!

ثم لما نزلت الشابة ونزل السائق ليعطيها أمتعتها من صندوق الحافلة أخرج من كيسه ورقة -فيها رقم الاتصال- ويلح عليها كسائل حقير لا يترك عتبة الباب أن تقبلها، وهي كدأبها في السابق تطردها عنها أبية غاضبة مستبشعة! ليتني كنت أستطيع أن أقول لها: يا أختي الكريمة! مبروك عليك تصلبك ومنعتك وعزتك! ولكن لماذا لبست لِبسة تجعلك مطمع شهوات العابثين الأنذال؟! ألا ترين أن الجو ممتلئ بالفيروسات والطفيليات فلم تركت الكمامة الصحية في هذه البيئة المليئة بالأمراض؟! أما شاهدت المرضات كيف يدخلن الغرف التي فيها المرضى؟! لم لا تصون بشرتك عن الأشعة الضارة التي تنتشر في كل مكان؟! لم تظهرين عكس ما تضمرين؟! والله يا أختي لو أحسنت الحجاب أحسنت إليك أولا وإلى الآخرين ثانيا! هداك الله يا أختي كان بإمكانك أن تتركي النفوس المطمئنة على حالها مطمئنة وادعة ولا تهيجي النفوس الضارية؛ ولكنك بعثرت على هؤلاء أمنهم وأقلقتهم وهيجت في أولئك ضراوتهم وهمجيّتهم، فجشّمت نفسك دفع المفترسين وجمشّمتهم ضرم الطوى.

يا أختي
ا لكر يمة !
مبروك عليك تصلبك ومنعتك وعزتك! ولكن لماذا لبست لِبسة تجعلك مطمع شهوات العابثين الأنذال؟! ألا ترين أن الجو ممتلئ بالفيروسات والطفيليات فلم تركت الكمامة الصحية في هذه البيئة المليئة بالأمراض؟! أما شاهدت الممرضات كيف يدخلن الغرف التي فيها المرضى؟! لم لا تصون بشرتك عن الأشعة الضارة التي تنتشر في كل مكان؟! لم تظهرين عكس ما تضمرين؟! والله يا أختي لو أحسنت الحجاب أحسنت إليك أولا وإلى الآخرين ثانيا! هداك الله يا أختي كان بإمكانك أن تتركي النفوس المطمئنة على حالها مطمئنة وادعة ولا تهيجي النفوس الضارية؛ ولكنك بعثرت على هؤلاء أمنهم وأقلقتهم وهيجت في أولئك ضراوتهم وهمجيّتهم، فجشّمت نفسك دفع المفترسين وجمشّمتهم ضرم الطوى.

كيف يدخلن الغرف التي فيها المرضى؟! لم لا تصون بشرتك عن الأشعة الضارة التي تنتشر في كل مكان؟! لم تظهرين عكس ما تضمرين؟! والله يا أختي لو أحسنت الحجاب أحسنت إليك أولا وإلى الآخرين ثانيا! هداك الله يا أختي كان بإمكانك أن تتركي النفوس المطمئنة على حالها مطمئنة وادعة ولا تهيجي النفوس الضارية؛ ولكنك بعثرت على هؤلاء أمنهم وأقلقتهم وهيجت في أولئك ضراوتهم وهمجيّتهم، فجشّمت نفسك دفع المفترسين وجمشّمتهم ضرم الطوى.

ليت النساء لبسن زيّا وصّاهن الله به، -ولا أرى أن العقل والمشاهدة والتجربة تجوّز غير ذلك- فيميزهن هذا الزي ، ويجعلهن في مأمن من معابثة الفساق؛ فإن معرفتهن وحشمتهن مما تلقيان الخجل والتحرج في نفوس الذين يتتبعون النساء لمعابثتهن(١١)

ثم يختم الله الآية بأجمل وأحسن وأنسب خاتمة: «وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا». إن الله يغفر لمن كان جاهلا بهذا الحكم السديد الرشيد، وهو رحيم بالنساء إذ سترهن، ورحيم بعباده حيث يراعي مصالحهم حتى الجزئيات منها؛ فالحجاب رحمة وليس كلفة، وكذلك كل حكم في الإسلام يثقل على النفوس الضعيفة والخاضعة للشهوات التي تجهل أنه «مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ».

أعتذر من القراء الكرام إن ظنوا أني قد أسهبت في الكلام؛ فليعلموا أني قد ضربت صفحا عن الكثير مما كان يجيش في صدري ويجول بخاطري، وكذلك لم أتطرق إلى ذكر الكثير من تجاربي وتجارب من يعتد بهم من الناس كان بإمكاني أن أذكرها؛ ولكن تركتها خوفا من الإطالة.

وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا، وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا، فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ؟!

.....

المصادر:

١-المستدرك على الصحيحين للحاكم/ كتاب التفسير/ باب تفسير سورة المدثر/ روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما-
٢- تفسير السعدي
٣- تفسير ابن كثير
٤- قبس من نور القرآن الكريم للصابوني
٥- في ظلال القرآن لسيد قطب
٦- التحرير والتنوير لابن عاشور
٧- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي
٨-تفسير القرطبي
٩- قبس من نور القرآن الكريم للصابوني
١٠- التحرير والتنوير لابن عاشور
١١- في ظلال القرآن لسيدقطب

قلما يجود الزمان بمثله

عبد الغفار ميرهادي

إنّ اللـه سـبحانه وتعـالى يرفـع بعـض الأفـراد درجـات، ويضـع لهـم القبـول في الأرض، ويجعـل في قلـوب عبـاده حبهـم وودّهـم، يجعلهـم أسـوة للآخريـن، حياتهـم عامـرة بالأعـمال الصالحـة، مصحوبـة بالإصـلاح والتوفيـق، ومـن البركـة والسـعادة مصاحبتهـم ومجالسـتهم، مـن هـؤلاء الشـيخ المفتـي محمـود أشرف العثماني-رحمـه اللـه- الأسـتاذ بدارالعلـوم كراتشي-صانهـا اللـه عـن كل مكـروه- نعيـت الأسـتاذ عشـية الأحـد لخمسـة بقيـن مـن رجـب، فاسـترجعت، وتأسـفت عـلى رحيلـه، وفقدانـه للمراكـز العلميـة، كان -رحمـه اللـه- نجـما متلألئـا في الجامعـة، أسـطورة الأدب في معاملتـه وشـؤونه كلهـا، يفيـض منـه الأدب مـن مفـرق رأسـه إلى أخمـص قدميـه، يتكلـم بالـدرر، مـا رأيـت مثلـه أعـذب نطقـا، وأجمـل بيانـا، وأعـدل سـلوكا، كان مربّيـا موفّقـا، محترمـا الصغـار والكبـار، مراعيـا حقوقهـم، يجـذب الآخريـن حسـنُ سـلوكه، معتـدلا، عميـق النظـر وبعيـد الغَـور في المسـائل، كثـير الاتبـاع لسـنة رسـول الله-صـلى اللـه عليـه وسـلم- ، يطابـق عملـه قولـه، متواضعـا، وقـورا، عبقريّـا، فقيـه النفـس، يسـتخرج النـكات التربويـة والنافعـة خـلال تدريسـه الحديـث الشريـف، قلّـما يجـود الزمـان بمثلـه.

حياته العلمية:

إنّـه -رحمـه اللـه- تلْمـذ عـلى أسـاطين العلـم في زمانـه، ونهِـل مـن معينهـم الصـافي الـزُلال كالشـيخ العلامـة محمـد إدريـس الكاندهلـوي صاحـب التأليفـات الكثـيرة النافعـة، والشـيخ المفتـي العـام محمـد شـفيع العثـماني، وحكيـم الإسـلام المقـرىء محمـد طيّـب القاسـمي، وهـما مـن أجـلّ تلاميـذ العلامـة أنورشـاه الكشـميري، والمفتـي جميـل أحمـد التهانـوي تلميـذ العلامـة سـهارنفوري ، والشـيخ رسـول خـان تلميـذ شـيخ الهنـد، وغيرهـم، -رحمهـم اللـه-، وتخـرّج في الجامعـة الأشرفيـة بمدينـة لاهـور، ودرس التخصـص في الإفتـاء بجامعـة دارالعلـوم كراتـشي، وصحـب كبـار العلـماء والمشـائخ في وقتـه، وانصبـغ صبغتهـم الربّانيـة، وانتفـع مـن مجالـس الشـيخ محمـد زكريـا الكاندهلوي-رحمـه اللـه- بالمدينـة المنـورة، كـما أنـه التحـق بالجامعـة الإسـلامية بالمدينةالمنـورة، ودرس فيهـا قرابةسـنتين، واسـتفاد مـن شـيوخها كابـن بـاز -رحمـه اللـه- وكان يذكـر أسـاتذته كلهـم بكـمال الاحـترام والأدب، ويترحّـم عليهـم. وقـام بواجـب التدريـس بالجامعـة الأشرفيـة بلاهـور سـنين، ثـمّ بجامعـة دارالعلـوم كراتـشي منـذ عام١٤١١هـق، وبذلـك أصبـح شـيخ الحديـث، والفقـه، والإفتـاء.

ذكريات لاأنساها:

*مـن توفيـق اللـه عـليّ الالتحـاق بجامعـة دارالعلـوم كراتـشي، كانـت بدايـة العـام الـدراسي، قلـتُ في نفـسي: لابـد مـن الارتبـاط مـع الأسـتاذ والاسـتفادة منـه أكـثر فأكـثر، يومـا كنـت خلـف الأسـتاذ بمـرأى منـه، أنتظـر فراغـه مـن صـلاة النفـل والدعـاء في المغـرب لأتحـدث معـه في موضـوع، ثـم قـام الأسـتاذ ومـا إن أخـذت بالـكلام حتـى قـال لي بلهجتـه الجميلـة: أنـا لا أسـمع كلامـك؛ لأنّـك أردت أن أقطـع صلتـي وارتباطـي باللـه وأتوجـه إليـك، ثـمّ ذهـب، وقفـت مـكاني متأمـلا وقلـت في نفـسي: سـبحان اللـه! انظـر إلى أدبـه الرفيـع مـع اللـه تعـالى!. هكـذا علّمنـي درسـا جميـلا تربويّـا لاأنسـاه أبـدا.

*كانـت الأساتذة-لاسيماالشـيخ المفتـي محمـد تقـي حفظـه اللـه- والطـلاب يحبّونـه كثـيرا، وأنـا المسـكين منهـم، وكنـت لاأشـبع مـن النظـر إليـه، مـرِض الأسـتاذ مـرة عندمـا كنـت طالبـا في دورة الحديـث سـنة١٤٢٧هق، فارتجّـت الجامعـة، واغتمّـت الطلبـة، وحزنـوا جميعـا، وإنّي أتذكّـر أنّ الأسـتاذ الشـيخ محمدتقـي -حفظـه اللـه- في ذلـك اليـوم قـام بعـد صـلاة العـصر مباشَرة من ناحيـة المسـجد وأمـر الطـلاب أن يدعـوا لصحته وسـلامته، فأخذوا يذكـرون ويدعـون اللـه تعـالى كل يـوم لشـفائه، وقـد اتصلـتُ عبرالهاتـف بوالديّ(بإيران،خراسـان) وطلبـت منهـما الدعـاء لـه، ثـمّ بعـد شـهر ونصـف شـهر تقريبـا حـضر الأسـتاذ الصـف، فسُررنـا بحضـوره ولقـاءه جـدا، ونفـخ فينـا روحـا جديـدة.

*وفي أيـام مرضـه تلـك ذهبـت مـع زميـلي وصديقـي محمـد ذاكـري فر-وهـو الآن أسـتاذ بجامعـة دارالعلـوم زاهـدان- إلى بيـت الأسـتاذ لعيادتـه، كنـا جالسـين معـه في سـاحة البيـت، ونتمتّـع مـن الحضـور عنـده، والجلـوس معـه، والاسـتماع إليـه، فـإذا بشـيخ الإسـلام محمـد تقـي -حفظـه اللـه- تـشرّف وجـاء، ثـم خـلا الأسـتاذ بالشـيخ في ناحيـة أخـرى، وخرجنـا مـن البيـت مسرورين لحُسـن حالـه.

*وفي تلـك الأيـام ألّـف الأسـتاذ رسـالة«ائمه اربعـه کی دربـار میـی» (عنـد الأئمـة الأربعـة)، جمـع فيهـا بعـض أقـوال ووصايـا للأئمـة الأربعـة المتبوعـين في الفقـه، وأهداهـا لطلبـة دورة الحديـث، وهكـذا أهـدى إلينـا كتابَ»المُغنـي في ضبـط أسـماء الرجـال» للعلامـة المحـدّث محمـد طاهـر الهنـدي الفِتني-رحمـه اللـه- (٩٨٦هـ)، وهـو كتـابٌ قيّـم في موضوعـه.

*وكان للأسـتاذ في تلـك الأيـام جلسـة إصلاحيـة يـوم الاثنـين بعـد صـلاة العـصر في منزلـه، يحضرهـا بعـض الطـلاب، وقـد أكرمنـي اللـه بالحضـور فيهـا مرتـين.

*حـان حفـلُ تكريـم الطـلاب لـدورة الحديـث وتتويجهـم بالعِمامـة آخـر السـنة، وإني أتذكّـر أنّ الأسـتاذ وضـع عمامتـي عـلى رأسي.

أسلوبه في التدريس:

لـه أسـلوب رشـيق رائـع في التدريـس، يُـدرّس المشـاهد والمغـازي مـن صحيـح البخـاري، كأنـه في الميـدان ويُخبرنـا عـن كميّاتهـا وكيفيّاتهـا، وهـذا يرجـع إلى دقّتـه، وسـعة مطالعتـه، ومهارتـه، وسلاسـة بيانـه.

مـرة قـال الأسـتاذ عـن منهـج التدريـس: لابـد للأسـتاذ أن يترجـم العبـارة، ثـم يذكـر الغـرض والهـدف مـن العبـارة ، ثـم يجيـب عـن الأسـئلة المقـدّرة، ثـم يـأتي دور الأبحـاث المتعلقـة بالموضـوع.

أسلوبه في الخطابة:

كنـت مشـتاقا لاسـتماع كلمـة الأسـتاذ يـوم الجمعـة، وأنتظـر لهـا، وكان يلقـي الخطابـة مـن حـين لآخـر، وكان خطابـه متينـا، رصينـا، ليّنـا، مـزوّدا بالاسـتدلال، ولم يكـن جهـوري الصـوت يصيـح، شـأن كثـير مـن الخطبـاء، وينبعـث كلامـه مـن القلـب ويهبـط فيـه.

جوانب أخرى منه:

*- كان -رحمـه اللـه- محافظـا لأوقاتـه، مـرة كان الأسـتاذ يتحـدث في الصـف عـن حجّيـة السـنّة، وكانـت الدلائـل مكتوبـة لديـه في ورقـة، ثـم في وقـت آخـر خـارج الصـف ذهبـت إلى الأسـتاذ وقلـت: مِـن فضلـك أريـد الورقـة لأستنسـخ لي، قـال: ايـتِ بـاب المنـزل غـدا في السـاعة الحاديـة عـشرة، فحـضرت رأس الموعـد، ودققـت البـاب فأخـذت الورقـة منـه فـكأنّ الأسـتاذ ينتظـر الموعـد.

*- كان -رحمـه اللـه- يُركّـز في تربيـة الطـلاب، خـلال تدريسـه وكلامـه. سـمعت منـه مـرة: إني تركـت التأليـف، وأجتهـد في تربية الطـلاب؛ لأنهـم علـماء وأئمـة النـاس وقدوتهـم في المسـتقبل، وإنّ صـلاح المجتمـع بصلاحهـم، وفسـاده بفسـادهم.

من نصائحه:

سـمعت مـن الأسـتاذ-رحمه اللـه- نصائـح قيّمـة كتبتهـا فـور إلقائهـا في الصـف وأقـدّم بعضهـا:

*- لابد لكل أستاذ أن يُعلّم تلامذته كلمة «لا أدري».

*- لاتفخـروا عـلى الآخريـن بمـا تفعلونـه مـن العمـل الصالـح، قالـه ذيـل حديـث: «إن اللـه ليؤيّـد هـذا الديـن بالرجـل الفاجـر».

*- اللـذة والحـلاوة -في العبـادات- محمـودة، ولكنهـا ليسـت مقصـودة.

*- لسـوء الظـن لابـد مـن دليـل، ولاحاجـة إلى الدليـل لحسـن الظـن.

*- إنّ مـن طـرق حفـظ الأدعيـة، قـراءة المناجـاة المقبولـة أو الحـزب الأعظم-يوميـا-.

*- لاتتركوا تلاوة جزء-على الأقل- من القرآن الكريم يوميا.

*- أحسنُ وِرد عند الشدائد» حسبي الله ونعم الوكيل» قاله بعـد ذكرقـول ابـن عبـاس-رضي اللـه عنهـما-:كان آخـر قـول إبراهيـم حـين ألقـي في النـار».

*- حُسن السؤال نصف العلم.

خدماته العلمية:

ترك الأستاذ -رحمه الله- كتبا ورسائل ألّفها، يتجاوز عددها الثلاثين، منها ما هو علمية ك»عقيدة الإمامة وحديث غدير خم»، و «الألعاب الرياضية في ميزان الشرع» ومنها إصلاحية:كـ« البيعة على التقوى»و«واجب العلماء»و»طريقة الإنفاق في سبيل الله» و«الاهتمام بصلاة الفجر» وغيرها، وكلّها بالأردوية على حدود علمي. وقد نُقل بعضها إلى الفارسية.

وأجاب عن استفتاءات كثيرة يتجاوز عددها المئات، وكان مُشرفا على طلبة التخصص في الفقه أيضا يُرشدهم، ويُصحّح أجوبتهم للاستفتاءات.

وله مقالات في موضوعات مختلفة طُبعت في مجلة «البلاغ» الأردوية الصادرة من جامعة دارالعلوم شهريا.

وكان معلّما حاذقا، ناشرا للعلوم الشرعية من التفسير، والحديث، والفقه وغيرها، وله تلاميذ كثيرون لايُحصَون في داخل البلاد وخارجها. ولاشك أن ما ذُكر، صدقة جارية له، وقد ورد في الحديث الشريف: إنّ ممّا يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: «علما علّمه ونشره، وولدا صالحا تركه، ومُصحفا ورّثه،...الحديث.(رواه ابن ماجه، رقم الحديث٢٤٢).

ولادته وانتماءه:

وُلد -رحمه الله- في ثمان من شعبان عام ١٣٧٠هـق، ووالده»زكي كيفي» كان أديبا شاعرا، وجدّه الشيخ المفتي العام محمد شفيع العثماني -رحمه الله-، وعمّه الشيخ المفتي محمد رفيع، وشقيقه شيخ الإسلام المفتي محمد تقي العثماني-حفظهما الله- وهما اللذان قد شرّقا وغرّبا، وسارت بهما الركبان، إنه -رحمه الله- ينتمي إلى أسرة علم، وفقه، وصلاح، وقرأت في مقالة أنّ سلسلة نسبه ترجع إلى سيدنا عثمان -رضي الله عنه-.

أولاده:

للأستاذ خمسة أولاد، بنت وأربعة بنين، وهم: حمّاد أشرف، وسجّاد أشرف، وعبّاد أشرف، وورّاد أشرف، توفي حمّاد أشرف في حياته وكان عالما تخرّج في الجامعة الأشرفية بلاهور، ومن حُسن حظي أني كنت زميلا لولده «سجّاد أشرف» في السنة الأخيرة للدراسة.حفظهم الله ورعاهم.

وفاته:

توفّي الأستاذ المكّرم، عشية الأحد في ٢٥ /رجب المرجب/١٤٤٣هـق، عن عمر يناهز٧٣ عاما، صلّي عليه في الساعة١١:٣٠مساء، ودفن بمقبرة دارالعلوم. اللهم ارحم أستاذنا، وارفع درجته، واحشره مع الأنبياء والصديقين، وأسكنه فسيح جناتك، اللهم لا تفتنا بعده، ولا تحرمنا أجره.

لا تفخروا على الآخرين بما تفعلونه من العمل الصالح، قاله ذيل حديث: «إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر».

إنّ من طرق حفظ الأدعية قراءة المناجاة المقبولة أو الحزب الأعظم -يوميا-.

لسوء الظن لا بد من الدليل، ولا حاجة إلى الدليل لحسن الظن.

اللذة والحلاوة -في العبادات- محمودة، وليست بمقصودة.

لا بد لكل أستاذ أن يعلّم تلامذته كلمة «لا أدري».

سيف الدين الباخرزي

للطالب مصطفى جلادي

اسمه ونسبه ولقبه:

سيف الدين الباخرزي: هو «أبو المعالي سيف الدين سعيد بن مطهر بن سعيد الباخرزي الحنفي».

هذا العارف يُعرف في المنابع والمآخذ بلقبه «سيف الدين» المكنى بأبي المعالي في الكتب القديمة كـ«الجواهر المضيئة»، «المجمل الفصيحي»، «تاريخ ملازادة»، وخاصة في الكتاب «الأوراد والأحباب».

سجلته المآخذ «سعيدا»، وكان في عصره معروفا بـ«شيخ العالم»، وبـ«خواجة فتح آبادي» لأجل إقامته فيه.

ولادته:

كان اسمه سعيدا وقد كان سعيدا حقا؛ وكما يُعلم من اسمه عاش بسعادة ونجاح في أظلم حضارة عصره في هذه البلاد حتى استطاع أن يخلد ذكره في كتب التاريخ، وقد سجل اسمه بين كبار العلماء؛ وكما يعلم من نسبه «الباخرزي» ولد الشيخ «سيف الدين» في مدينة «باخرز» الواقعة في أرض خراسان-إيران في اليوم ٩من شعبان سنة ٥٨٦ هـق المصادف لـ٢٧ شهريور٥٦٩ هـش، وهو عاش ٧٢ عاما عيش عزة وشرف وعلم وإنتاج وإرشاد.

شيوخه في الفقه والتصوف والحديث:

هو تعلم العلوم الابتدائية في وطنه، ثم سافر إلى هرات ونيسابور وبغداد وبخارى لطلب الفقه والحديث والتصوف والتفسير عند المحدثين والفقهاء كـ«الشيخ شهاب الدين السهروردي»، «ابو الفتح الحصري»، و«علي بن محمد الموصلي»، و«إبراهيم بن سالار الخوارزمي»، و«المؤيد الطوسي»، و«فضل الله بن محمد بن أحمد النوقاني»، و«جلال الدين المرغيناني».

ألبسه الشيخ «تاج الدين محمود الأشنهي» لباس تكريم وتقدير في هرات.

هو كان من كبار مشايخ الصوفية في بخارى؛ ولكن سمع الحديث عند «جمال الدين الكردري»، و«أبو رشيد الأصبهاني»، و«أحمد المحبوبي».

سفره إلى بخارى:

قيل: إنه قدم بغداد وعمره إحدى عشرة سنة، فسمع من «ابن الجوزي».

ثم مال إلى التصوف وذهب إلى خوارزم عند الشيخ «نجم الدين كبرى».

سلك الشيخ سيف الدين مراحل الطريقة والسلوك عند الشيخ «نجم الدين كبرى»، وبعد مدة قصيرة كساه شيخه كسوة الخلافة.

لقبه الشيخ «نجم الدين كبرى» ألقابا كـ«الإمام العارف»،و«شرف الإسلام»، و«مقدَّم الطائفة»،و«حجة السالكين».

ثم ذهب إلى بخارى، وبنى زاوية في قرية «فتح آباد»، وأقام الشيخ محافل ومجالس الموعظة والوعظ والنصيحة. ويجتمع طلابه ومحبوه من أنحاء العالم إليه ويعتكفون عليه.

وبلغت شهرة الشيخ مبلغا كان يدعوه الناس بـ«الشيخ الأكبر».

ذهب الشيخ «سيف الدين» إلى بخارى قبل شهادة الشيخ «نجم الدين كبرى» سنة٦١٨هـق.

وسكن فيها بعز ومكانة وكرامة إلى آخر عمره، وقضى فيها أكثر من أربعين من عمره. وتلقب بـ«شيخ العالم» في هذه المدينة أيضًا.

ذهب إلى خوارزم عند الشيخ «نجم الدين كبرى» بعد تحصيل الفقه والحديث والقراءة عند العلماء في عصره، وعكف وفقا لأمره على الخلوة والرياضة.

ثم بعد الممارسة والخلوة والتحنث أربعين يوما نال درجة الخلافة لـ«نجم الدين كبرى».

تلامذته:

ذكر في الكتب أن الشيخ سيف الدين ربى تلاميذ ومريدين كثيرين.

كان من تلامذته الشيخ «خواجة بدر الدين السمرقندي»، هو سكن في «دهلي»، واشتغل بنشر أفكار واتجاهات الشيخ سيف الدين.

بالغ في الثناء عليه «شاه بن محمد الخوارزمي البخاري» المعروف بـ«علاء منجّم بخارى» في كتابه «الأشجار والأثمار» و هو من طلابه ومحبيه.

قال: إن الباخرزي روّج الشعر والسماع في هذه المدينة.

معاصروه:

كان من كبار المشايخ والعلماء الذين صاحبوه: «الشيخ سعد الدين الحموية»، والشيخ «كمال الدين الخوارزمى»، والشيخ «الحسن البلغارى»، و«خواجة الغريب» (وهما كانا من كبار مشايخ الصوفية النقشبندية)، والشيخ «نجم الدين الرازي»، والشيخ «رضي الدين لالا»، والشيخ «فريد الدين العطار»، والشيخ «كمال الدين الخجندي»، و«الشيخ مجد الدين البغدادي» -قدس الله أرواحهم- وآخرون من المشايخ والعلماء الذين لا يسع المجال والمقام ذكرهم.

أبناءه:

كان للشيخ سيف الدين ثلاثة أبناء:

١- من أكبر أبناءه «جلال الدين محمد»، هو استشهد قريبا من بخارى وفي يوم الأربعاء ١٦ من جمادى الأولى ٦٦١هـ.ق.

٢- «برهان الدين أحمد»، صرّح «فصيح أحمد الخوافي» في كتابه «المجمل»:

حج الشيخ «برهان الدين» الابن الأوسط للشيخ «سيف الدين الباخرزي»، وبقي الشيخ «برهان الدين» في كرمان بعد رجوعه من الحج واختارها للسكنى في كنف حماية «عصمة الدين قتلغ تركان خاتون» من ملوك «قراختاي» في كرمان (٦٥٥-٦٨١) و توفي سنة ٦٩٦ هـ.ق.

وجاء «أبوالمفاخر يحيى ابن برهان الدين أحمد» من كرمان إلى بخارى، وتوفي «أبو المفاخر» يحيى في هذه المدينة سنة ٧٣٦ هـ.ق ،ودفن في «فتح آباد».

«أبو المفاخر» يحيى هو الذي لقيه ابن بطوطة إذا وصل إلى بخارى سنة ٧٣٣ أو ٧٣٤ هـ.ق في « فتح آباد».

وسجل ابن بطوطة اسمه وتكلم عن حفاوته وكرمه وحسن استضافته في شرح «الممتعي».

٣- «مظفر الدين مطهر» الابن الثالث للشيخ «سيف الدين الباخرزي» الذي جاء إلى قونية بعد وفاة أبيه الشيخ سيف الدين (في سنة ٦٥٩) ثم اختارها للسكنى وأقام فيها وتوفي الشيخ مظفر الدين المطهر في قونية أيضا.

من آراء الشيخ:

كان يعتقد الشيخ أن لحصول المعرفة للسالك أربعة شروط :١- طيب البذر، ٢- طيب المنبت، ٣- طيب الغذاء، ٤- سعادة الوقت.

وكان يرى كشيخه «نجم الدين كبرى» أنه لا يحسُن للسالك في أول سلوكه أن يشتغل بعمل سوى ذكر «لا إله إلا الله» بعد التفرغ من الفرائض، إلى أن ينشرح صدره ويتهيأ لجذب الأنوار الإلهية.

وكان يرى أن على المريد أن يلتزم بمصاحبة شيخ واحد، وكان يصف للمعتكفين عليه الذكر الخفي.

تأليفاته:

الآثار المطبوعة:

١-الرباعيات، ٢- رسالة في العشق، ٣- الوصايا

الآثار المخطوطة:

١-شرح الأسماء الحسنى. ٢- الرسالة إلى «سعد الدين الحموية» ٣- وقائع الخلوة، ٤- الأوراد

وفاته:

توفي الشيخ «سيف الدين الباخرزي» وفقا للتاريخ الموثق في ليلة الأحد ٢٤ من ذي القعدة سنة ٦٥٩ هـ.ق المصادف لـ ٦/آبان/٦٤٠ هـ.ش، ووراه التراب في قرية «فتح آباد» الواقعة في بخارى بـ«أزبكستان».

رأى ابن بطوطة قبره وزاويته سنة ٧٣٣ هـ.ق، وكان حفيده «أبو المفاخر يحيى الباخرزي متوليا لأمرها و يديرها.

جدد بناءها الأمير تيمور سنة ٧٨٨ هـ.ق.

ودفن في جنب قبره كبار الشيوخ منهم ابناه الشيخ «جلال الدين محمد»، والشيخ «مظفر الدين أحمد»، وحفيده الشيخ «أبو المفاخر الباخرزي».

المنابع:

١- سير أعلام النبلاء: ج٢٣ ص ٣٦٣

٢- معجم دهخدا: ج٣ ص ٣٩٣٢

٣- نفحات الأنس ص ٤٣٢

٤- تاريخ گزيده ص ٦٧١

٥- تاريخ ورجال مدينة التايباد ص ١٣٨

٦- رياض السياحة ص ١٥١

٧- مجموعة الآثار لشيخ العالم «سيف الدين الباخرزي»

٨- دانشنامه جهان اسلام: ج١ ص١٣٢

٩- دايرة المعارف بزرگ اسلامِي: ج١١ ص٥٧

١٠- سفرنامه ابن بطوطة

١١- مجمل فصيح خوافى

١٢- حبيب السير: ج٣ ص ٦١

في انتظار مثل تلك الهبة الإنسانية

إلياس نظري

هيّا صديقي، هيّا..
- إلى أين؟
- إلى سفح الجبل، نلعب ونرتع..
- حذرتني أمي من أن أبتعد من البيت كثيرا، والجبل ببعيد منا .
- يا جبان، حري بك أن تجالس البنات ولا تخرج من البيت، ولكنني قوي، وصرت رجلا جلدا..
- رجل! أنت؟ ولم تعد تجاوز خمس سنوات من عمرك..
- نعم، سألقاك لاحقا..

ذهب ولم أكن أتخيل أن هذا اللقاء، اللقاءُ الأَ...أَ..
آه، آه، يصعب علي ذكره حقا، عندما أتفكر في تلك اللحظة أتألم وأرتعش من أخمص القدم إلى مفرق الرأس حسرة، وأسى.
فزعت إلى بيتي، فاعتصمت بها لشدة ما وجدت، النوم جافاني، كان يوم الثلاثاء، وعندما كنت آوي إلى فراشي تداهمني الأفكار، والخيالات، ماذا حدث؟ وكيف حدث؟ فلم ألبث أن غرقت في لجة الكرى.
أنت أخي الريان؟ أين أنت يا حبيبي؟ أين أنت يا ريان؟ لماذا تأخرت؟ لم يكن ذلك من دأبك، مع من ألعب؟ مع من أعدو وأجري؟ لا تبتعد مني من فضلك.
فإذا صوت غريب قلعني من مكاني وأفسد علي حلمي مع حبيبي، طار أبي واقفا وأسرع نحو الصوت، من هو؟ هو أبو ريان.
كئيب حزين، لا يقر له قرار، يعجز عن الكلام، يتمتم لا تعرف منه كلمة، كأنه يدعو الله، و يطلب منه شيئا.
حاول أبي تهدئة روعه، والفزع مستبد بنا جميعا، بعد أن تهدأ وفزّع عنه قليل من الكرب وسرّي عنه بعض الذي وجد، قام و اتصل بفرق الإنقاذ، وأخبرهم بما حدث لابنه الريان.
طفل صغير ذو الخمس سنوات، اسمه ريان، سقط في بئر ضيقة بقطر يبلغ ٤٥ سنتيمترا في أعلاه، ويضيق كلما تقدم التوغل نحو قعره، هكذا أضيق فأضيق.
كلما كانت تمر ساعة، يدب الأمل فينا من جديد، انتهت العملية بعد أيام كل لحظة فيها تخيل كسنة كاملة، و قد طال انتظار كثير ممن طووا الكبد الحرّى على جمر الترقب، إنها ساعة عصيبة من أشدها وأحرجها، العقول مشدودة، والعيون محدقة، والأنفاس متوقفة، محبوسة في الصدر، وأكف الضراعة مرفوعة، يزداد خفقان القلوب حينا بعد حين، خرج الرجل والريان في أحضانه، كان يبدو سالما معافى.
وكل شيء معد ليصل الطفل في أسرع وقت إلى المستشفى ليرجع إلى أحضان أمه ولا يصاب الأب في فلذة كبده، ولكن مشيئة الله التي لاترد ولا تصد حالت دون ذلك كله، وضاعت التدابير عند التقدير وبعد ساعتين ارتحل الريان الحبيب إلى الرفيق الأعلى.
حدث كل ما حدث بمرأى و مسمع من العالم، وصار الخبر الرئيس والعنوان في أعلى كل صحيفة وموقع إلكتروني ونشرات الأخبار، وصارت موضوعا يتابع من أنحاء العالم، وكم وحدت قصة الريان بين أقوام، بل وبين بلدين، وسببت نهضة شاملة، هبة إنسانية قلما نراها اليوم.
تعازي متوالية، من الفنانين واللاعبين وبعض الملوك، وعامة الناس. إن الريان أوى إلى ظل لايزول، وهو نائم تحت كومة من التراب ولكنه أرى الملل والأمم الآلام و المصائب التي تلم بأترابه في أقصى العالم ولم يرمش لأحد جفن، الأطفال الذين يقتلون ولا يدرون بأي ذنب قتلوا، الذين يحضرون بين يدي الله بأشلاء ممزعة، وملابس ممزقة، ملطخة بالدماء، الذين لم يجدوا ملجأ ولا ملاذا في الدنيا وأخروا شكواهم إلى يوم يوزن كل شيء بميزان العدل والإنصاف، يوم يعض الظالم على يديه، يوم يعلو الصراخ ولا يسمع إلا يا ليتني كنت نسيا منسيا، يا ليتني كنت ترابا.
الريان علّمنا أن الإنسانية لاتدرك بادعاءات جوفاء، وأقوال مزخرفة تذروها الرياح، علمنا أن الأمة بأشد الحاجة وأمسها إلى هبة إنسانية تحمل معاني حقيقة غير مصطنعة لا روح فيها.

لتتخلص الدنيا من أوحال الظلم والبهيمية، لا سبيل لها إلا تلك الهبة الإنسانية. ولكننا أبناء الأحاسيس والظواهر لو أقمنا العالم وأقعدناها لطفل واحد بريء هكذا، فلمَ نجلس مكتوفي الأيدي، معصوبي الأعين أمام هذه الكوارث العالمية، الحقيقة ما قال العالم النفساني باول: كلما كانت المأساة متفردة لشخص واحد، كان التعاطف معه أوسع، وكلما اتسعت دائرتها، تلاشت دائرة التعاطف.
أخيرا؛ العالم في انتظار مثل تلك الهبة الإنسانية...

أزمة أوكرانيا وحقيقة حقوق الإنسان

للطالب: محمد مقدم

لقد من الله سبحانه وتعالى بإرسال الرسل على عباده لهداية البشر وإبعاده عن الطرق المهلكة والمخطئة التي تسبب عقودًا متعدّدة في حياة الإنسان، ثم بعد تربية البشر بإرسال الرسل واحدًا تلو الآخر أنهى هذه السلسلة الذهبية بإرسال خاتم النبيين محمد -صلى الله عليه وسلم-، ثم أنزل كتابًا فيه هداية البشرية في الحياة الدنيا والآخرة، ففسر الرسول -صلى الله عليه وسلم- كتابه لعباده وصار أسوة عملية للعباد ليتمسكوا بالقرآن بواسطة أسوة تُعينهم في حياتهم البشرية.

أما نحن نلاحظ عبادًا تركوا الله والشريعة التي شرّعها لهم: «وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى»، الناس متحيرون؛ قد لا يستطيع الرجل التائه أن يميز بين السلبية والإجابية، دول وحكومات تُرى في ثوب غنم؛ ولكنها ستظهر ذئبًا يأكلك.

وقد انتشر في الدول الأروبية والغربية وقد سرى إلى الدول الشرقية والشرق الأوسط قانون حقوق الإنسان الذي هدفه الأصلي مقابلة المسلمين والقوانين الشرعية والنواميس الإلهية بعنوان خدّاع «سكولاريزم» -أي تنحية الدين عن جميع مجالات الحياة-.

هذا الشعار يعلن بأن القطب الذي تدور حوله رحى الحياة البشرية هو الحرية، ولن يُفلح الرجل إلا بعد أن يترك أي شعار إلهي، وأن يشرّع الإنسان بعقله قانون المدنية، تُكتب القوانين والشرائع المدنية على محاور حرية البشر؛ لا على أي اتجاه نحو الشريعة الإلاهية؛ فالمزاعم التي تزعم بأن الإنسان الحر المطلق عن أي التزام بالدين سينال سعادته دون أي افتقار إلى الشريعة الإلاهية واهية؛ كيف ونحن نوقن بأن الإنسان لم يخلق حرًا وتائهًا يخبط خبط عشواء في أفعاله وأعماله التي يقوم بها في الدنيا؛ بل هو خُلق ليكون عبدًا لخالقه، ويتخلق بما يأمره به ربه: «أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾».

فوعينا بأن الأسوب الأمثل هو الإسلام المبارك نتمثل بما أمرنا ربنا وخالقنا، ولا نتشبث بالخيوط الواهية التي نسجتها عقول السفهاء الناقصة.

إن الدول الغربية يستغلون هذا الرأي لتحقق أهدافهم السياسية والاستعمارية في الدول الإسلامية. لو تعمقنا في المجتمع الغربي نجد هذه العقيدة أدت إلى كوارث ونكبات متعددة ومذهلة تحت لواء الحرية.

على سبيل المثال انتشر في وسائل الإعلام أنه رفعت درجة إحصاء الطلاق في العالم منذ أُسِّس شعار حقوق البشر انهار قوام الأسرة، وشتّ شمل المجتمع؛ حيث كان قبل ذلك نظم المجتمع حسنة؛ كما أعلن موقع إعلان الإحصاءات. كان الحياء موجودا بين الإنسانية وصار مفقودا، خفّ عدد سكان العالم لترك الزواج والاشتغال بالزنا وممارسة السيئات والفواحش بأنواعها، والأطفال في هذه الدول مختارون في اختيار تغيير جنسيتهم. هذا هو حقوق البشر التي تصرخ بها الدول الغربية وليس هذا إلا شعار بحت كما ظهر ذلك عبر هذه السنوات منذ تأسيسه سنة ١٩٤٨م إلى هذه السنة التى نشاهد هذه الكوارث المؤلمة، ومما يقود إلى إماطة اللثام عن وجوه الغربيين المدعين لحقوق البشر محاربتُهم مظلومي فلسطين؛ قتلوهم، ثم سلبوهم، ثم أخرجوهم عن ديارهم، ثم دخلوا أفغانستان بحجة حادثة ١١سبتامبر، وبدأوا ببث الأكاذيب في وسائل الإعلام، ونشروا بعض الأسانيد التي تدل أن المحاربين هم العرب، وهؤلاء يسمون بقوات «القاعدة» ومقرهم في أفغانستان.

هذا هو حقوق البشر التي تصرخ بها الدول الغربية وليس هذا إلا شعار بحت كما ظهر ذلك عبر هذه السنوات منذ تأسيسه سنة ١٩٤٨م إلى هذه السنة التى نشاهد هذه الكوارث المؤلمة، ومما يقود إلى إماطة اللثام عن وجوه الغربيين المدعين لحقوق البشر محاربتُهم مظلومي فلسطين؛ قتلوهم، ثم سلبوهم، ثم أخرجوهم عن ديارهم، ثم دخلوا أفغانستان بحجة حادثة ١١سبتامبر، وبدأوا ببث الأكاذيب في وسائل الإعلام، ونشروا بعض الأسانيد التي تدل أن المحاربين هم العرب، وهؤلاء يسمون بقوات «القاعدة» ومقرهم في أفغانستان.

لاحظنا الأخبار التى مضت على المسلمين، وحفظنا من التاريخ ما قص آباءنا، وكتب التاريخ أن الكفار هجموا على بلاد المسلمين، احتلوا موطنهم واضطهدوا أهلها، ثم جاء المسلمون من بلاد شتى لنصر إخوانهم المسلمين تركوا أسرتهم، وأموالهم لنصر المسلمين، وهكذا يحاربون الأعداء في كل حرب لنصر إخوانهم.

وأما هناك في أوكرانيا هجمت روسيا القسية بجيشه المحتلّ بالأسلحة الفتّاكة والجنود المجندة، والقوات المدرعة البرية، والأسلحة الجوية والبحرية إلى أوكرانيا لأغراضها الخاصة تريد السيطرة العسكرية، منذ أسبوعين اقتحمت أوكرانيا تقتل مئات رجال ونساء وأطفال صغار، تخرب البيوت، ولا يستحيي من صغير وكبير، ولا رجل وامرأة، فلا تزال تتقدم ولن تبرح أوكرانيا حتى تسيطر عليها وتشرّع قوانينها الخاصة.

و هناك يشهد العالم الغربي الأوروبي هذه الأزمة وهذه الهمجية مكتوفة الأيدي لا يشدّ بعضهم أزر بعض، ولا ينصر أحد هؤلاء الأكرانيين اللهم إلا أنهم قد يصرخون ويحللون القضايا الدولية في وسائل الإعلام، وما قام الغرب بوعده الذي عاهدت أوكرانيا.

إن كانت هذه البلدة مسلمين أو كانوا كفارا ولكن تحت لواء المسلمين، أو تحالفوا مع المسلمين على النصرة لقد نصرهم المسلمون من كل بلد بأموالهم وأنفسهم، وقاموا بعهدهم وأوفوا لوعدهم الذي عاهدوهم، ولو كان كافرا تحت لواء الإسلام كما يطلق عليهم اسم الذمي، كان على ذمة كل مسلم أن ينصر الذمي، وأن يقاتل دون الذمي؛ كما ينصر أخاه المسلم؛ حيث أمرنا الإسلام بذلك.

قال ابن حزم الأندلسي: «من كان في الذمة وجاء أهل الحرب في بلادنا يقصدونه وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح، ونموت دون ذلك صونًا لمن هو في ذمة الله وذمة رسوله -صلى الله عليه وسلم-؛ فإن تسليمه وخذلانه بين أيدي الأعداء إهمال لعقد الذمة. إذًا يجب على المسلمين في النظام الإسلامى حماية هذا الذمي الذي ليس على دينهم يهوديًا كان أو نصرانيا، والدفاع عنه باستماتة، ويعتبر ذلك جهادا عند الله تعالى، وهو شهيد بحق، لا شهيد المواطنة، ولا شهيد الإنسانية، بل شهيد في سبيل الله أسمى السبل وأعلى الغايات.

ما الذي يحمل الشخص على أن يدافع عن غيره إذا لم يتبع حكم الشريعة، هل سأكون مستعدا أن أبذل نفسي ومالي وأعرِّض حياتي للخطر وأبنائي ليتم .

والمواطنة أخوة الوطن، ماذا سيعطيني على ذلك؟! أأكثر من مترين من الأرض أدفن فيهما، وأما إذا كان المعيار هو الإسلام وإقامة أحكامه فإن الذي يدفعني لأدافع عن أهل الذمة هو عقيدتي، وطاعتى لله ورسوله، وتعظيم ذمته وذمة رسوله، والطمع في جنة عرضها السماوات والأرض.

يا أيها البشر الذي يبحث عن عيش مثالي! لا تجدن حلًا لهذه المشكلة إلا أن تتمسك بالشريعة الإسلامية، بالقانون الإلهي، وتدع أي فكرة وعقيدة تخالف القرآن والسنة حتى تتلذ بحياة مثالية في الدنيا والآخرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الاعتدال في التشريع

للطالب: محمد ماري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العدل الحكيم والصلاة والسلام على من كان منارة يستضاء بها إلى الدستور المستقيم.

أما بعد أخي القارئ! بين يديك عجالة عن قضية هامة شغلت أفكار الكثيرين في القرن الأخير، وصارت وسيلة للدساسين الذين يطمعون نيل مرامهم الباطل ومكايدهم الشيطانية بتلطيخ صورة القانون العالمي الذي يعدونه أقوى مانع يمنعهم عن تحصيل ما حددوه لأنفسهم والبشرية الجمعاء من تحكيم العقل الإنسانى واتباع الهوى، وذلك القانون هو الإسلام؛ فبدأوا بالتلطيخ والتمريغ بنسب اتهامات متعددة نحو الشريعة الإسلامية الإلهية، وقاموا بتعريف الإسلام على المستوى العالمي بدين التشدد والإرهاب.

في هذا المكتوب نتعرف إن شاء الله إلى منهجية الإسلام بين الجمود والتطرف، واستقامته في الاعتدال والتوسط، ولعلك قد سمعت المثل: «رب ملوم لا ذنب له»

ولكن في بداية كلامي لا بد من الاعتذار إلى الله العادل الحكيم والاعتذار إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ فإن الله ورسوله ليسا بحاجة إلى إثبات عدالتهما واعتدال ما شرعا؛ بل وإن قدر الله لأعلى، وإن مكانة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- لأعظم من أن يثبت عدالتهما عبد مسرف جاهل! كيف لا وهو أعدل العادلين، والمصطفى -صلى الله عليه وسلم- أعدل خلق الله وأعظمهم خُلقا؟!

أما الوسطية فبمعنى التوسيط، أي: جعل الشيء في الوسط، والوسط اسم لما بين طرفي الشيء وهو المعتدل، وقد لمّح إليه البارئ المتعال في قوله:» وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ».

قال الطبري: وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه غلو النصارى، ولا أهل تقصير فيه تقصير اليهود.

بعض مظاهر الاعتدال في التشريع الإسلامي

١- الإقرار بالميول البشرية.

لاينكر إنسان الغرائز التي خلقها الله للبشر، وهذا يحتاج إلى الإشباع بالطرق السوية؛ لذلك جاء الدين الإسلامى بتعديل الغرائز الإنسانية، لا تحطيمها و القضاء عليها. قال الله تعالى: «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ»

٢- الجامعية بين صلاحي الدنيا والعقبى.

يمتاز الإسلام لأنه جمع في الترغيب بين العمل للدنيا والعمل للآخرة؛ قال الله تعالى: «وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ». وكان من دعاء الرسول -صلى الله عليه وسلم-: «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التى فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي». رواه مسلم

٣- تشريع العبادات.

تتميز العبادات المشرعة المفروضة من صلاة وصيام وزكاة وحج باليسر والسماحة وقلة التكليف وكون المشقة فيها معتادة؛ فضلا عن فوائدها الجمة وآثارها التهذيبية والاجتماعية والقيام بالعبودية لله الخالق؛ فإن لله تعالى حقوقا على عباده بل الغاية الأصلية من الخلق الإلهي للبشرية هي عبادة الرب تبارك وتعالى كما قال سبحانه: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ»

٤- ترسيخ مجالات العلاقات الدولية.

الإسلام مستمَد من السلام؛ فالله هو السلام، وتحية الإسلام السلام، والجنة هي دار السلام، وتحية الله والملائكة لأهل الجنة هي السلام: «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ»، والمسلمون مطالبون بتعميم السلام ومحاربة الإرهاب الغير المشروع لقوله تعالى: «وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا

وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»، وقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا». وحينئذ يكون لزاما التفرقة بين الإرهاب بالمعنى المطلق أو المفهوم الغربي الشامل لحق المقاومة، أو الدفاع عن البلاد والحقوق؛ فالإرهاب المحظور هو كل اعتداء على الآخرين! أما المقاومة أو الدفاع عن البلاد فهي مشروعة؛ بل واجبة، وأساس هذه التفرقة قوله تعالى: «لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾».

٥-إحكام النظام الاقتصادي.

إن معالم النظام الاقتصادي الإسلامي القائم على التوازن والاعتدال بين النظامين الرأسمالي والاشتراكي واضحة ومشهورة؛ فإن نظامنا الاقتصادي يقوم على أساس الحرية الاقتصادية، ويقرّ بالملكية الفردية؛ لقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ». ويقرّ الإسلام بحقوق المجتمع بجوار حقوق الأفراد؛ فللمجتمع حق في أموال الأفراد عن طريق فرض الزكاة وإخراج الصدقات وكفاية الفقراء والكفارات.

هذا بعض مظاهر الاعتدال والتوسط في الإسلام المأخوذة من كتاب «الوسطية في الإسلام» للشيخ الدكتور «وهبة الزحيلي» -رحمه الله-

دعوى الاعتدال واستغلاله في الإفراط:

في عالمنا المعاصر نرى ممن يعتبر كل تمسك بالدين في المأكل والمشرب والملبس والزينة تطرفًا في الدين، وهنا نجد أننا لو اتبعنا أهواء هؤلاء لضللنا ولتفرقت بنا السبل. قال الله تعالى: «وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ»

فليُعلم أننا لا نخضع للاعتدال الذي وصفه المعاندون والمفتونون بالحضارة النابعة من العقول الناقصة الملحدة، ولكن الذي نُلزم الأنفس برعايته والوقوف عند حدوده هو ما حدده الله ورسوله في الكتاب المجيد والحديث الشريف.

أخي الماجد!

لو أمعنت النظر مدققا في الحضارة الغربية لوجدت تسرب الإفراط والتفريط في هذه الحضارة. يقول العلامة الداعية السيد أبوالحسن علي الحسني الندوي -رحمه الله- في كتابه «الصراع بين الإيمان والمادية»: «ولا أجمل في وصف هذه الحضارة المتهورة وصاحبها الذي يتشبع بروحها من قوله تعالى: «لَا تُطع مَنْ اَغْفَلنَا قَبْلَهُ عَنْ ذِكرِنا واتّبع هَوَاه وَكان أَمرُهُ فُرُطاً». فإما غلو في الديمقراطية، وإما غلو في الدكتاتورية، وإما تطرف في الشيوعية، وإما تقديس للأعراف والمثل، وفي مثل هذه الحضارة تفقد الطبائع سلامتها، والعقول استقامتها، والأمم وحدتها وألفتها» انتهى كلام الشيخ باختصار.

اعلم أن الذين يتهمون الشريعة الإسلامية بالإفراط هم المسرفون المفرطون يقصدون باتهام الإسلام براءة أنفسهم مما هم فيه حقا من الإفراط في المادية والشهوانية الحيوانية، والحروب المتلاصقة الظالمة، وإما يرون الفساد صلاحا ويسمرئون الفاسد النتن لفساد طبائعهم: «أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ»

فيا ابن آدم ممن يدين بالدين الإلهي القويم، وممن لم يلحق بعد بهذا الدستور السماوي! بعد أن تعرفت إلى بعض مظاهر الاعتدال في الشريعة الإسلامية الإلهية فثق بالله العدل الحكيم واعتصم بخير معتصَم.

إذا كنت في حاجة مرسلًا

فأرسل حكيمًا ولا توصهِ

«ولا أجمل في وصف هذه الحضارة المتهورة وصاحبها الذي يتشبع بروحها من قوله تعالى: «لَا تُطع مَنْ اَغْفَلنَا قَبْلَهُ عَنْ ذِكرِنا واتّبَع هَوَاه وَكان أَمرُهُ فُرُطاً». فإما غلو في الديمقراطية، وإما غلو في الدكتاتورية، وإما تطرف في الشيوعية، وإما تقديس للأعراف والمثل، وفي مثل هذه الحضارة تفقد الطبائع سلامتها، والعقول استقامتها، والأمم وحدتها وألفتها»

الواقع الأليم للأمة

للطالب: خالد رسولي

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: «وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا».

وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا؛ فطوبى للغرباء».

لو تصفحنا كتب التاريخ لرأينا أنه كانت للأمة الإسلامية مكانة شامخة بين الأمم، مكانة لا تفوقها مكانة؛ ولو بحثنا عن العلة لعرفنا أن ما جعل هذه الأمة متميزة عن الأمم الأخرى عهدَ الصحابة والتابعين وتبعهم إنما هو الحب. لا أنسى قصة عروة بن مسعود الثقفي إذ قال لأصحابه: دعوني آت محمدا. فقالوا له: ايته، فأتى عروة فكلمه النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو يرمق أصحابه فما تنخم من نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها جلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوءه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده؛ فرجع عروة إلى أصحابه فقال: والله لقد وفدت على الملوك كسرى وقيصر، وما رأيت ملكا يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا. ولكن ما هو السبب في أن أمتنا قد أصيبت بفقدان هذه الهوية وضياع هذا الحب؟

لقد جنت المدنية الحديثة على الإنسانية جناية عظيمة إذ قضت على هذه العاطفة التي كانت قوة كبرى، وملأت فراغها بالمادية والحب الجنسي؛ فأكبر ما اهتمت به هو إطفاء الجمرة الإيمانية التي لا تزال كامنة تحت الرماد، وتجريد المسلمين -في بلاد العرب والعجم- من الحمية الدينية التي تحمل أصحابها على التضحية والجهاد وتحمل الشدائد والمكاره في سبيل الله والثورة على الباطل؛ فأصبح العالم العصري أشبه بجماد متحرك دائر لا قلب له ولا شعور ولا ألم عنده ولا أمل؛ إنما هو دوامة جامدة تديرها يد قاهرة أو إرادة قاسرة. فنرى شبابنا اليوم يتبعون الغرب في جميع الأشياء، ولا يخطون خطوة إلا بتقليدهم إياها. ويبحث الفتى المسلم والفتاة المسلمة عن الحرية، ويعترضون دوما على أن الإسلام لم يخطط للحرية أية خطة؛ وهؤلاء المساكين لا يعرفون أن حريتهم المنشودة هي التي تؤدي إلى الهلاك وزوال اسم الإنسان عن الإنسان. وقد شاهدنا في الشبكة الدولية أن شابا قلد شابة وأخذ بزمامها وهي تمشي على أربع وتنبح نباح الكلاب. ورأينا أيضا أن بعض الفتيات في الدول الغربية تقطع أيديهن ويجعل في أفهامهن شي لا يقدرن أن ينطقن بشي، إنما هي تمثال جنسي يقضي عليها الرجل حاجته كلما أراد. ذلك نتيجة الحرية التي جعلت الرجال يتزوجون بالرجال والنساء بالنساء. أتريد الحرية؟ إذن تداس حرمتك وتصبح حيوانا لا يُعبأ بك.

يقول العلامة محمد إقبال في بيت وهو يشكو فقدان هذه الهوية: «إن الشباب المثقف فارغ الأكواب، ظمآن الشفتين، ضعيف اليقين، كثير اليأس؛ هؤلاء الشبان أشباه الرجال ولا رجال، يبني الأجانب من ترابهم الإسلامي كنائس وأديارا، شغفتهم الحضارة الغربية، فمدوا إليهم أيديهم ليتصدقوا عليهم بخبز شعير؛ مسلمون لكن عقولهم تطوف حول الأصنام، إن الإفرنج قد قتلوه من غير حرب وضرب». أيها الشاب المسلم! ألا تتخطى رقاب السنين فترى أن الدنيا كانت تحت إمرتك يوما؟ فلم كل هذا التقاعس والإحباط؟! ألم تكن تدخل قصور الملوك فتقول في شجاعة وصراحة: «الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام»؟! فلم يتلعثم الآن لسانك أمام الطغاة والجبابرة؟! ألم تكن تخوض المعارك فيطعنك العدو بالرمح فتقول: «فزت و رب

الكعبة»؟!

ألم تكن تجعل ظهرك ترسا لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- فتقع النبال في ظهرك واحدا تلو الآخر ولا تتحرك حبا له -صلى الله عليه وسلم-؟! فلم أراك الآن تائها حائرا فقدت ضالتك وتبحث عنها في المادية والحب الجنسي؟! ألم تكن تربط بالخشب فيرميك المشركون بالرماح والنبال فيسألونك:بالله عليك يا خبيب! أتحب أن محمدا مكانك؟فتقول: «والله ما أحب أن يفديني بشوكة يشاكها في رجله؟ أين حب الجهاد؟ أين الشهادة في سبيل الله؟ يقول سيدنا خالد بن الوليد -رضي الله عنه-: «لأن يكون في إحدى يدي سيف وفي الأخرى ترس وأكون في ليلة شاتية مظلمة أقاتل العدو لأحب إلي أن أنكح بأجمل فتاة في الدنيا. وهذا سيدنا حنظلة -رضي الله عنه- ليلة الزفاف يسمع مناديا ينادي: «ألا خيل الله اركبي»، فيلبي نداءه في ساعته فيستعد للقتال ثم يستشهد في سبيل الله.

ولا ثوب البقاء بثوب عز
فيطوى عن أخي الخنع اليراع
سبيل الموت غاية كل حي
فداعيه لأهل الأرض داعي
ومن لا يعتبط يسأم ويهرم
وتسلمه المنون إلى الانقطاع
وما للمرء خير في حياة
إذا ما عد من سقط المتاع

اعلم أيها الأخ المسلم أننا كنا أمة ترعى الغنم، فجاء الإسلام فجعلنا أمة ترعى الأمم، فلما ابتعدنا عن الإسلام صرنا أغناما ترعانا الأمم.

يواصل محمد إقبال فيقول: «أنا لا أرى أن هذا الجيل حي قائم بنفسه يفكر بعقله؛ بل أعتقد أنه ظل للأوروبا وأن حياته عارية من الغرب» ويقول في قصيدة: «يتراءى لك أن الشاب المسلم حي يرزق؛ لكنه في الحقيقة ميت استعار حياته من الغرب».

وكان من أقرب طرق وصول الغرب إلى هذا الهدف هو التعليم الذي يجرد الشاب المسلم من الروح الديني، وينشئ فيه طبيعة النفعية، وتقديس المادة، وضعف الثقة بالنفس، والشك في الدين؛ لذلك يرى شاعر هندي آخر: أن فرعون أخطأ الرمية في فكرة القضاء على بني إسرائيل، فقد التجأ في قتلهم وإبادتهم إلى طرق سافرة ألصقت به العار، وأثارت عليه اللعنات؛ فكان يقتل أبناءهم، ويستحي نساءهم ليأمن ثورة بني إسرائيل وغائلتهم في المستقبل. ولو أنه رزق شيئا من الابتكار وبُعد النظر ودقة التفكير لاكتفى بتأسيس كلية لبني إسرائيل ينشئ جيلًا إسرائيليًا جديدًا كما يشاء، ويسبك العقول والطبائع سبكا لا يدع إمكانا لنشأة شاب مثقف يشعر الشعور الديني. لكنه لا ينبغي لنا معشر المسلمين أن نكون من القانطين، فإن جمرتنا الإيمانية لا تزال كامنة تحت الرماد، ونحن نستطيع -إن شاءالله- أن نشعلها ثانية؛ فإن تقدم الباطل فبضعفنا، وإن خسر العالم فبانحطاطنا. فلا بد من خطوة جديدة تبدد هذا الظلام وتعيد إلى العالم الحياة؛ فإننا غاية هذا الكون خلق العالم لنا وخلقنا نحن لله، وإن قوتنا القاهرة لا تصدها الجبال، ولا تقف في سبيلها البحار. وفي الأخير أتمنى للإسلام جيلا جديدا شبابه طاهر نقي وضربه موجع قوي، إن كانت الحرب فهو في صولته كأسد الشرى وإن كان الصلح فهو في وداعته كغزال الحمى، يجمع بين حلاوة العسل ومرارة الحنظل، هذا مع الأعداء وذلك مع الأولياء. وهذا يتيسر إذا قوي إيمان الأمة بالتدبر في كتاب الله، والتفاني في سبيل العقيدة، والتجريد في النية، والحب الذي يحمله بين جنبيه لإخوانه المسلمين، وكل شئ على الله يسير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وكان من أقرب طرق وصول الغرب إلى هذا الهدف هو التعليم الذي يجرد الشاب المسلم من الروح الديني، وينشئ فيه طبيعة النفعية، وتقديس المادة، وضعف الثقة بالنفس، والشك في الدين

قواعد الإملاء (١)

إلياس نظري

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ أما بعد

ما لا يخفى على أحد أن قواعد الإملاء بمكان عظيم من الأهمية والاعتناء، ولا يختلف اثنان أن الصحة في الإملاء من لوازم الشخصية الناجحة في التواصل مع الآخرين وإيصال الأفكار بالطريق الأيسر والأسهل.

وبالمقابل الإملاء الخاطئ أمر معيب ويعد موردا لانتقاد صاحبه. من أجل ذلك أصبح الإملاء الصحيح مقياسا دقيقا للكتابات والمقالات، حيث إن القراء أكثر من أن يهتموا وينجذبوا بفحوى الكلام، يعطف أنظارهم، ويصرف أفكارهم ما يوجد في بعض الكتابات من اللحن والأغلاط الإملائية التي لا يبالون بها بعض، ولا يعلمونها بعض آخر، والشكوى من الذين يعرفون من القواعد كبيرها وصغيرها ومع كل أسف يهملونها متثاقلين، غافلين أن قيمة كتاباتهم تزداد أكثر بمراعاتها، وكلما أهملوها تنتقص من قيمتها، وهذا داء عضال قد أخذ بمخانق الكتابات والبحوث المتنوعة ودواءه أن يوليها الكاتب قليلا من الاعتناء ليتلقاها كل بالقبول.

من هنا قد عزمنا أن نجمع بعض القواعد الإملائية ونجعلها في المجلة في سلسلة متتابعة بعون الله وتوفيقه، ليكون نصب عيني من يمارس الكتابة، فنبدأ في البداية بقواعد الهمزة.

همزة الوصل: هي همزة يتوصل بها إلى النطق بالحرف الساكن الذي يليها، وهي تكتب ولا تنطق إلا في بداية الكلام كـ اِجتهد محمد، وتكتب ألفاً فقط دون همزة فوقها ولا تحتها، وإذا دخلت همزة الاستفهام على كلمة مبدوءة بهمزة وصل مكسورة، حذفت همزة الوصل نطقا وكتابة، كـ أستغفرتَ الله؟ وإذا دخلت على كلمة مبدوءة بهمزة وصل مفتوحة، كتبت بألف عليها مدة كـ آلله أذن لكم.

مواضعها:

من الأسماء هذه العشرة : اسم، ابن، ابنة، امرؤ، امرأة، است، اثنان، اثنتان، ابنَم (لغة في ابن، مثلثة الحركات)، ايمن الله (والبعض يضيف ايم الله).

تنبيه: إذا استعملت كلمتا (ابن، اسم) جمعا فنقول (أبناء، أسماء) في هذه الحالة تكون همزتها همزة قطع.

وأول المصدر الخماسي والسادسي كـ اجتماع واستقرار وماضيهما وأمرهما، وأمر الثلاثي كـ اكتب. وفي الحروف: همزة الـــ للتعريف.

همزة القطع: هي همزة تكتب وينطق بها في أي مكان جاءت، تكتب ألفا فوقها همزة إن كانت مفتوحة أو مضمومة، وألفا تحتها همزة إن كانت مكسورة.

مواضعها:

في جميع الأسماء إلا ما تقدم ذكره في همزة الوصل وأما في الأفعال: ماضي الثلاثي المهموز كـ أخذ، وماضي الرباعي كـ أبدى، وأمر الرباعي كـ أَسرِع، وهمزة المضارعة كـ أَكتب.

ومن الحروف سوى ال التعريف تكون همزتها للقطع كـ إلى، إن، إما..

أما الهمزة المتوسطة:

حتى تتقن كتابة الهمزة المتوسطة، عليك أن تعرف الحركات في اللغة وما يناسبها من الأحرف. الكسرة: وهي أقوى الحركات ويناسبها الياء. الضمة: تلي الكسرة في القوة ويناسبها الواو. الفتحة: تلي الضمة ويناسبها الألف. السكون: يلي الفتحة وهو أضعف الحركات.

القاعـدة العامـة للهمـزة المتوسـطة: ننظـر إلـى حركتهـا وحركـة الحـرف الـذي قبلهـا، ثـم نكتبهـا علـى الحـرف الـذي يناسـب الحركـة الأقـوى. مثـلا: سـُـــ ءِ ل حركـة الهمـزة فيهـا الكسـر وحركـة مـا قبلها الضـم، والكسـر أقـوى مـن الضـم والكسـر

يناسبه الياء، لذلك نكتبها على الياء؛ سئل.

وفقا لهذه القاعدة أكتب حالات الهمزة المتوسطة بالترتيب:

متـى تكتـب واوا: إذا كانـت مفتوحـة أو سـاكنة بعـد ضـم: لؤلـؤ، مؤَلـف.، أو كانـت مضمومـة بعـد ضـم، أو فتـح، أوسـكون: شـؤون، يـؤم، مـرؤوس.

وتكتـب يـاء: إذا كانـت مكسـورة بـكل حـال مثـل: سـئم، أسـئلة، وإذا كانـت مفتوحـة أو مضمومـة أو سـاكنة بعـد كـسر أو يـاء سـاكنة، مثـل: مئـة، مسـيئان.

وتكتـب ألفـا: إذا كانـت سـاكنة بعـد فتـح: رأس، أومفتوحـة بعـد فتـح أوبعـد حـرف صحيـح سـاكن: سـأل، يسـأل.

وتكتـب مفـردة: إذا كانـت مفتوحـة بعـد حـرف مـد غيـر اليـاء: تسـاءل، مـروءة، وإذا كان بعدهـا ألـف اثنيـن ولم يمكـن اتصالهـا بمـا قبلهـا : جـزءان، فـإن أمكـن فعلـى اليـاء: خطئـان.

وأيضا إذا كانت الواو مشددة: تبوّء.

تنبيـه: تقلـب الهمـزة إلـى ألـف مـد (آ) في الأسـماء التـي جمعـت جمـع تكسـير أو جمـع مؤنـث سـالما: مأثـرة؛ مآثـر، مكافـأة؛ مكافـآت.

وأمـا الهمـزة المتطرفـة: الهمـزة التـي في آخـر الكلمـة، تكتـب علـى الحـرف الـذي يناسـب حركـة الحـرف الـذي قبلهـا: بـادِئ، يجـرُؤ، بـدأ. وإذا سـبق الهمـزة سـاكن كتبـت الهمـزة علـى السـطر: مـلء، بـطء.

مولانا أبو الفتح محمد يوسف في جامعة أنوار العلوم

للطالبين :
يونس داودي و مصطفى قادري

الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله؛

لم يمض من تلك الليلة إلا قليل، ليلة من الليالي التي قلما تمر بنا ونحن نشعر بالراحة والاطمئنان، المليئة بالنفحات القرآنية.

أتانا ضيف كريم، وعالم جليل، عتقت سنه، أبلغه الهرم ومع ذلك كان حفظه الله يبدو أشب من تلاميذه الذين كانوا جالسين أمامه.

إنه الأستاذ فضيلة الشيخ «محمد يوسف رحيم يار خاني» مدير الجامعة العثمانية في «رحيم يار خان»، من توابع إقليم بنجاب بباكستان، ومن الشخصيات السياسية البارزة، لو لم يعرّفه أحد فتعرف من صوته للقرآن وأسلوب بيانه و تفسيره آيات التوحيد أنه من تلامذة أستاذ التفيسر، العلامة اللوذعي الشيخ عبدالغني الجاجروي.

كان الأستاذ كبقية الأساتذة في هذه الناحية من بنجاب يفسر القرآن في خطاباتهم بأسلوب يخصهم، وقد تقع الخطبة لحاجة العصر إليها موقع قبول حسن في قلوب السامعين، وتبقى رنات صوتهم تتردد في النفوس ردحا من الدهر.

فخطابة الأستاذ بين الطلاب لم تكن أقل مما ذكرت، وللاستفادة نقدم الخطابة إلى القارئين بفصها ونصها:

بعد الحمد والثناء قال: هذه أول مرة حضرت في هذه الجامعة، أسعدنى هذا الحضور في جمع الطلبة.

أيها الأعزاء: أنتم تتعلمون العلوم الشرعية وهذه لا تتاح لكثير، ألا وهي ميراث الأنبياء، حيث قال الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ «إن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً إنّما ورثوا العلم» وإن متعلمه قد نال على حظ وفير من الدين. قد بلغ عدد الأنبياء نحو مئة وأربعة وعشرين ألف نبي وقيل مئتين وأربعة وعشرين ألف نبي. و هؤلاء هم القادرون على بيان أهمية العلم كما حقه.

ذات مرة قام موسى خطيباً في بني إسرائيل وخطب خطبة مثيرة أثرت في الناس. فقام رجل فسأله: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم الناس.

فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إلى الله لأنه كان نبيًا وليردَّ العلم إلى الله، فأوحى الله إليه أن عبداً من عبادي هو أعلم منك، قال موسى لفتاه يوشع بن نون: ننطلق حتى نلاقي الذي أمرنا بزيارته، أمره الله – تعالى - أن يحمل حوتاً في مكتل فإذا فقدته فهو ثَمّ.

فانطلقا حتى أتيا صخرة وضعا رؤوسهما وناما، اضطرب الحوت في المكتل فانسل منه وسقط في البحر واتخذ سبيله في البحر سرباً، وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظا انطلقا بقية يومهما ليلتهما حتى إذا كان من الغد، إن صاحبه قد نسي أن يخبره بالحوت، قال

موسى لفتاه: «آتنا غدائنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا» فأخبره بما حدث وقال: «أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة....» فرجعا يقصان أثرهما حتى انتهيا إلى الصخرة.

على الرغم من أنه نبي لم يعثر على ما يبحث عنه لأنه لم يكن يعلم الغيب، إنما لا يعلمه إلاّ الله.

الغيب هو مايمكنك معرفة الأشياء دون أى سبب، ولا يكشف الإنسان عن شيء إلا بمساعدة الأسباب وهذا لا يُسمى الغيب يقول تعالى:» لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله».

إن السماوات مليئة بالملائكة وجنود الله ولا يعلم عددهم إلاّ هو، في السماء بيت يسمى البيت المعمور و هو واقع فوق الكعبة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ولا يعودون إليه أبداً وهذا يدل على كثرة جنود الله -تعالى -.

بعد أن خلق الله آدم احتجّ الملائكة على خلقته فطلبوا الخلافة في الأرض لهم، وابتلاهم الله وعلم الله آدم الأسماء كلها وكما قال تعالى: «وعلم آدم الأسماء كلها...» وسأل الملائكة عن أسماء الأشياء فظهر عجزهم وضعفهم وقالوا: «قالوا لا علم لنا إلا ما علمتنا» وحتى كان يحتوي علمه على معرفة المتقنين في كل فن.

كان آدم لا يعلم الغيب كما لا يعلمه الأنبياء غيره؛ لأن الشيطان وسوس له وغرّه حيث قال تعالى: «فوسوس لهما الشيطان ...» وعلى رغم النبوة قد خُدِع بمكر إبليس .

كما أن آدم لا يعلم الغيب فإن الجن أيضا لا يعلم الغيب، بعض الناس يزعمون أن الجن يعلم الغيب ولهم علاقة وصلة بالجِنة .ويُصَدقون ما يخبرهم الجن.

قد سخر الله لسليمان الجن والإنس والطير وكانت تلك الأصناف جنوداً مطيعة له لا تخالف أمره ولا تخرج عن طاعته.

أمر سليمان الجنة أن يبنوا له بناء وفي أثناء الأمر توفي سليمان متكئاً على منسأته لكن الجنة جهلوا ذلك بعد إكمال البناء شاهد أحدهم عصا سليمان ملقاة على الأرض بالية قد أكلت بعضها دابة الأرض فعرف أنها عصا الملك سليمان وإنه لو لم يمت منذ سنوات طويلة ما ألقيت وأكلتها الديدان فأخبر بني جنسه الخبر فعرفوا أن وفاته قد وقعت منذ سنوات خلت، كما قال تعالى: «فلما قضينا عليه الموت ما دلهم ...».

فد بيّن لنا هذه الآية أن الجن لايعلم الغيب ولو جاء أحدهم بخبر لم يُصدَّق .

من الناس من يعبد القبور ويسجد لها ويطلب منها مطالبها .

يقول الرسول – صلى الله عليه وسلم – « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجدا » ويقول عز وجل: « من أضل من يدعو من دون الله من لايستجيب له وقال أيضا: «وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين» .

والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجداً « ويقول عز وجل: « من أضل من يدعو من دون الله من لايستجيب له «، وقال أيضاً: «وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين».

يخاطب الله الأنبياء ويقول: « أأنتم أضللتم عبادي أم هم ضلوا السبيل «، فيجيب الأنبياء: « بل متعتهم وآباءهم...» كل هذه الآيات تدل على ألا يعلم الغيب إلاّ الله .

بعد أن وصل موسى مجمع البحرين و وجد الخضر، صاحبه وقد قام الخضر بأمورعجيبة وتعجب موسى ودهش. في بداية الأمر اقتلع الخضر لوحين من خشب السفينة ثم قتل الغلام وأصلح الجدار وقوّم اعوجاجه.

اعترض موسى على هذه الأفعال وسأل تأويلها.

فأجاب الخضر : أما السفينة، فكانت مُلكاً لبعض المساكين الفقراء، يطلبون رزقهم ولكن ملكاً طاغيا جباراً كان يسطو على كل سفينة جيدة صالحة فأردت أن أُكافئَ هؤلاء المساكين بأن فعلتُ ما فعلتُ لأعيب السفينة، «أما السفينة فكانت لمساكين ...» وتابع الرجل الصالح تأويل ما لم يستطع موسى عليه صبراً.

فقال : أما الغلام الذي قتلته فكان عاقّاً لأبويه عاصياً لربّه، وكان أبواه مؤمنين فخشيت أن يجُرَّهما إلى الكفر والعصيان «أما الغلام فكان أبواه مؤمنين ...» فأما الجدار الذي أصلحته مجّاناً دون أجر، فكان تحته كنز خبّأه رجل كريم لغلاميه الصغيرين .

أما لماذا قام الخضر بهذه الأفعال الثلاث ؟ أراد أن ينبأ موسى بأنه قد فعل مثل هذه الأمور ثم تابع الخضر قال: اخترقت السفينة لصيانتها وأنت وضعتك أمك في صندوق وألقتك في النيل صيانةً لحياتك، أنا قتلت الطفل لنجاة أبويه وأنت أيضا قتلت القبطيَّ لانتصار قومك، وبعد مدة بعثك الله نبياً لبني إسرائيل منجياً لهم.

أنا أقمت الجدار دون أجر، وأنت أيضاً سقيت الأغنام لجاريتين ورعيت الأغنام عشرة سنوات مجاناً .

أنهى الأستاذ كلامه هنا لما مضى من الوقت كثيرا؛ لأن الخطابة بالأردية والترجمة بالفارسية استوعبت مدة ساعة كاملة.

ملتقى الأدب العربي حضره سماحة الأستاذ عبد الحكيم عثماني

نحمده ونصلي على رسوله الكريم، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا وزدنا علماً وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، قال الله تعالى في محكم كتابه: «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا، وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ»

يسرّني ويحلو لي أن أخاطب هذه المجموعة الكريمة المباركة وهؤلاء الأفاضل الأماجد وذاك في قرية من قرى خراسان بعيدا عن معهد اللغات، فقد اشتركنا وساهمنا في حفلات كثيرة في جامعة دار العلوم بزاهدان وربما في محافظة أخرى في مراكز المدن، لكن في القرى حتى الآن لا أذكر أن أشترك في مثل هذه المجموعة الكريمة! أنتم اجتمعتم لكنني أنا بدوري ما رأيت نفسي في قرية بعيدة عن معهد اللغات من المراكز العلوم للغة العربية! ثلةٌ من الإخوة الطيبة المؤمنة لها النشاطات بالنسبة إلى إحياء اللغة العربية وهذه نعمة من الله عز وجل. رحم الله أساتذتكم المشرفين والمسؤولين الأحياء منهم والأموات الذين غرسوا هذه الدوحة المباركة (الشجرة الكبيرة وافرة الظلال) في هذه القطعه جذورها عميقه، فروعها مرتفعه ببركة الله عزوجل هذه الدوحة ترجع أصولها وفروعها الى الدوحة المباركة والشجرة المثمرة في البلاد الإسلامية بدأ من الحجاز حتى الهند ودار العلوم زاهدان وفي الأخير إلى هذه القطعة المباركة إلى هذه المدرسة.

والنكتة الأولى أن نشكر الله عز وجل بأن وفقنا أن نقوم بإحياء اللغة في هذه الجامعة تحت إشراف الأساتذة ومن قوائم الشكر وأصوله قبل كل شيء أن نتأمل ونتفكر على النعمة؛ فالذي عنده مال فالشكر على نعمة المال واجب واختاره الله عز وجل، كم من أناس ولكن الذين يختارهم لنعمته قليل، وهناك جامعات كثيرة؛ ولكن الله عز وجل اختاركم لهذه المهمة.

والثانية بالنسبة إلى هذه النعمة؛ بعد أن تأملناها وتفكرنا فيها علينا أن نقوم بواجبنا تجاه هذه النعمة؛ فالذي يعطيه الله عز وجل المال فشكره القيام بواجب المال، ينفق المال في سبيل من أعطاه هذا المال، في خدمة المولى الذي منحه هذا المال، فيؤدي زكاته وعشره ونفقاته. والنعمة التي نتكلم عنها في هذه الساعة هي اللغة العربية وتوفيق هذه الأرضيه، هذا المجال المبارك لهذه المجموعة، وهؤلاء الأساتذة والدروس والبرامج والكتب، ثم من أصول الشكر بالنسبة إلى هذه النعمة أن نتقنها وأن نتفهّمها؛ فنؤدّي حقها ونحييها وإحياء اللغة العربية القيام بها، كقوله تعالى: «أَقِيمُوا الصَّلاة» أي إحياء الصلاة، فواجبنا نحوها يكون بإحياءها، ونحن في قرية عجمية بعيدة عن مراكز اللغة العربية، فعلينا أولًا أن نعشقها، نحبّها من أعماق قلوبنا، لماذا؟ لأنها لغة الحبيب، والإنسان يحبّ من الحبيب كلّ شيء؛ فيحبّ جميع أوامره وكل ما يرتبط به، وكلام الحبيب هو اللغة العربية، ومن أداء الشكر فشكرها أن نعشقها، ولأجل هذا نشاهد في كلام السلف وكبار هذه الأمة أنهم كانوا يوصون أبنائهم وأحفادهم وتلاميذهم بإحياءها، وكانوا يعشقون لغة القرآن والسنة، وهي لغة الدين، وأهل الجنة، والثقافة الإسلامية، والأهمّ أنها لغة حضارتنا وديننا! ولا بدّ لنا أن نوجد هذا الحبّ والعشق في

قلوبنا وفي قلوبنا تلاميذنا؛ لأنها منا ومن ديننا، وهل من أهل الدين من يبتعد عن بعض الدين، فكما لدينا حميّة بالنسبة إلى الصلاة والزكاة فكذلك اللغة العربية هي من شعائر الدين، فلو لم يكن من شعائر الدين لما كان مجالًا للمستشرقين والمعاندين والملحدين على محو هذه اللغة؛ فكم ركّزوا على تضعيفها وتغييرها وتبديلها باللهجات المحلية مكان اللهجة العربية الفصحى!

انظروا إلى البلاد العربية وهم لا يعرفون اللغة الفصحى! فلابد أن تتكلم باللهجة. كان من الأمور المهمة لدى المستشرقين والمهاجمين في الغزو الفكري والثقافي محاربة اللغة الفصحى؛ ولأجل هذا كبار هذه الأمة وأعلامها ركّزوا على صيانة اللغة العربية؛ فإن لم يكونوا من العرب.

فجهودنا نحو اللغة العربية مباركة لاتضيع أبدا ونرجو من الله سبحانه وتعالى أن يعطينا الثواب كما في الصلوات النافلة وقراءة القرآن والصوم.

ونكتة تذكرتها في الطريق عن العلامة ابن تيميه رحمه الله من كتاب اقتضاء الصراط المستقيم «إن اللغة العربية لها آثار في العقل والخلق والدين». فنحن أيضا شاهدنا في حياتنا وحياة تلاميذنا وزملائنا هذه الآثار.

فكيف يؤثر في العقل؛ إذا أتقن أحد نطقا وكتابة مع الرعاية الأدب العربي بكمالها أن يعرفها بأصولها وقواعدها من الصرف والنحو في الكلام، فهذا يفتح وعقله، فتقوي القوة المدركة، ويكون فطنا ذكيا؛ فإننا جرّبنا الذين يدرسون في المعاهد العربية و الآخرون، بينهم بون شاسع.

فالذين يتخرجون من المدارس والجامعات الإسلامية عندهم مشكلة خاصة، فربما يواجهون المشاكل بالنسبة إلى درك المفاهيم، فمثلا يطالع كتابا فيحتاج إلى فهمه أن يركّز كثيرا، فأما الذي له سلطان في اللغة العربية، فأي نصّ يواجهه فيفهمه ويدركه فلهذا نقول تؤثر اللغة في العقل.

وكذلك تؤثر في الخلق! فقلما سمعنا أن اللغة العربية تؤثر في خلق الدارس؛ فكل اللغة تؤثر في أخلاق المرء، فالمصطلحات الإنجليزية ك«مرسي» مكان جزاك الله خيرا التي تنبئ عن الجزاء والألوهية والدعاء، وفي كل يوم تقول هذا المصطلح مرات عديدة؛ فهي تؤثر في العقيدة والخلق.

فأما المصطلحات العربية مصطلحات القرآن والحديث؛ ففي كل اصطلاح درس وذكر وإشارة إلى التوحيد والسنة.

وكذلك تؤثر اللغة في الدين فأمّا فهم الدين والقرآن فرض ولا بد للمسلم أن يفهم القرآن والسنة، فكلما يتوقف فهمه على الفرض فهو أيضا فرض ومن هنا نفهم أن فهم اللغة العربية فرض ولازم على المسلم.

فهذه انطباعات من كلام ابن تيميه -رحمه الله- كمقدمة بالنسبه إلى اللغة العربية.

فلابد أن نهتم كثيرا جدا ونقدّم النشاطات الكثيرة في مجالها، ولابد من ثورة حتى تحيا اللغة العربية في هذه الجامعة، فإذا يتخرج أحد من هذه الجامعة ويلتحق بأي معهد ومركز علمي فيقال: إنه رجل عربي أبا وأمّا ولا يُفهم أنه عجمي.

ولديكم ميزة أخرى أن اللغة العربية لبثّ الدعوة الاسلامية ولنشرها، فلا بد أن نكون أصحاب طموح فلا نكتفي أننا دعاة فارسيين فقط، فعلينا أن نخاطب العالم جميعا، فالعالم يهتم بالعربية وسوف تتهيأ فرصة حتى نخاطب وجوها أخرى غير هذه الوجوه التي نراها يوما وليلة، ربما نشترك في المحافل العالمية ونخاطب العالم.

والتحولات التي حدثت في العالم وعلى رأسها هو هزيمة الغرب والثقافة الغربية وعلى رأسها زعيمها أمريكا، فعندما انهزمت الشيوعية والاتحاد السوفيتي، فلا روسيا بعده ولا شيوعية اليوم، وعندما انهزمت أمريكا في أفغانستان فنقول فلا أمريكا بعده، الزعامة الأثيمة الغربية انهزمت وستبقى الزعامة الإسلامية، فنحن في هذا المجال سنخاطب عالما كبيرا وجموعا كثيرة.

فذهبنا إلى تركيا لحفلة عقدتها حركة حماس في إسطنبول تهيأ فرصة لنتكلم، فقلنا: لا فائده في الشعارات الجوفاء التي رفعتموها في العواصم! فما هي النتيجة ولماذا لا نستفيد من تجربة الأفاغنة من خلوصها وصدقها وحقيقتها، لا الشعارات الوحدة، واستقبلوا هذه التجربة ونظروا إلى هذه الثلة في أفغانستان نظر إعجاب وتقدير وحفاوة وإكرام، وهذه الثلة نرتبط بها فكريا ومنهجيا، ونفتخر بهذه المجموعة، قوم رفعوا راية الإسلام في القرن الأخير دون أن يرتبطوا بالشرق ولا بالغرب؛ فقام على ساقيها مرتفع الرأس ولديها فكرة وسطية، تستقبلها الشعوب الإسلامية وغير الإسلامية ليس فيها إفراط ولا تفريط.

فالموضوع الأساسي أنه حدثت في العالم تغييرات أساسية، فطالب أفغاني أصبح الآن وزيرا أو رئيسا يخاطب العالم، فنحن نتفاءل أننا سوف نخاطب العالم وسنكون هكذا، فنحن لا نكتفي بالفارسية فقط؛ بل بالعربية والإنجليزية. والظروف الراهنة تجبرنا أن نشقّ هذا الغطاء الذي طالما كان علينا ونكون رجلا غير الذي كنا قبله ونكون أصحاب طموح أكثر من قبل.

فنحن جميعا استفدنا من المائدة التي بثّت عندنا في دار العلوم بزاهدان، فهي استفادت من دار العلوم «كراتشي» ومن ندوة العلماء والشيخ محمد قاسم القاسمي حفظه الله عميد اللغة العربية في إيران لما أقام حفلة نادي اللغة العربية، لا يبلغ عدد المشاركين عن أنامل يد في ليالي الجمعة وكان يشكو عن قله المشاركين والآن الحمدلله لكل فصل نادٍ خاص له.

والصحوة الإسلاميه كانت في البداية تكتب باليد وكم كنا نفرح بها والحمد لله الآن صارت مجلة كبيرة ضخمة عالمية.

ولابد للغة العربية والفارسية والإنجليزية من الشحن، والشحن ليس عندنا مع ملء البطن وتقوية العضد، والشحن يكون في الكلام فربما تخرج كلمة من فم رجل ترتفع في الآفاق وتستقبلها أذن صاغية وتتلقفها، وذاك الشحن هو الخلوص والصلة مع الله عز وجل الذي أنزل القرآن بالعربية وعلّمناه، فلا بد لنا أن يكون لدينا وقت خاص لنتصل بالله عز وجل ولا نثق على عقولنا وقوّاتنا و نطقنا، فالأول والآخر هو الله عز وجل؛ فإذا انقطعت صلتنا سنخيب ونخسر، والذي ينجح ويفوز هو الذي يتصل دائما بالمولى عز وجل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

من نصائح الأستاذ الشيخ المفتي محمود أشرف العثماني:

*- لابد لكل أستاذ أن يُعلّم تلامذته كلمة «لا أدري».
*- لاتفخروا على الآخرين بما تفعلونه من العمل الصالح، قاله ذيل حديث: «إن الله ليؤيّد هذا الدين بالرجل الفاجر».
*- اللذة والحلاوة -في العبادات- محمودة، ولكنها ليست مقصودة.
*- لسوء الظن لابد من دليل، ولاحاجة إلى الدليل لحسن الظن.
*- إنّ من طرق حفظ الأدعية، قراءة المناجاة المقبولة أو الحزب الأعظم -يوميا-.
*- لاتتركوا تلاوة جزء -على الأقل- من القرآن الكريم يوميا.
*- أحسنُ وِرد عند الشدائد» حسبي الله ونعم الوكيل» قاله
بعد ذكر قول ابن عباس -رضي الله عنهما-: كان آخر قول إبراهيم حين ألقي في النار».

AL-ANVAR
journal of: HOZE ELMI YE ANVAROL OLOOM
KHEYR ABAD . TAYBAD
30

إلى القرّاء الكرام

مجلّة الأنوار تصدر برئاسة الشيخ عبدالمجيد رجبعلي زاده وتحت إشرافه وتوجيهاته، وهو عرف منذ باكورة مساعيه العلمية و الدعوية بالمرونة والتوسّط والتحرّز عن أي فكر يحمل إفراطاً وتفريطاً في الدين ولا يزال يدعو إلى ذلك بمواعظه ونصائحه ويسعى أن يدرّب الجيل الجديد وأصحاب القلم على مجانبة أي اصطدام فكري وعقائدي مع الفرق الأخرى وهو مع ذلك يتألّم لأوجاع العالم الإسلامي ويهتمّ بأمور المسلمين لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الكفر هي السفلى، ويرى أن المدارس الدينية معاقل حصينة لصيانة حقيقة الإسلام ونشر التعاليم الصحيحة المستنبطة من القرآن والسنّة والصدع بالحق وتوجيه الشعب نحو الأهداف المنشودة الحقّة وإنقاذه عن الانحرافات والضلالات.

فالمجلّة من هذا المنطلق تحتضن أهدافاً تدعو إليها بالقلم وهي كالتالي:

- التصوير الدقيق للإسلام وتبليغ الكتاب والسنّة
- الدعوة إلى التوسّط والاعتدال في الفكر والعقيدة
- توعية الأمة لمواجهة الحركات الهدّامة كالاستشراق والتبشير
- تثقيف الجيل الجديد وتربيته تربية ثقافية إيمانية إسلامية بحيث يجيب كافّة حاجات المجتمع ويوائم مع مستجدّات العصر
- إحياء تراث خراسان الثقافي والتعريف برجالها من الدعاة والمحدثين والمفسرين والفقهاء واللغويين
- أداء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقلم
- الدعوة إلى اتحاد جميع الاتّجاهات الدينيّة
- إعادة الثقة إلى نفوس الشباب بأنّ الإسلام لا يزال غضّاً طريّاً لا تبلى جدّته.